

5 me Année, No 223.

Lundi - 11 - 10 - 1937

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

السنة الخامسة | « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ شعبان سنة ١٣٥٦ — ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٧ » | العـــدد ٢٢٣

فهرس العـــدد

فلسطـــين
والسياسة الانجليزية الجديدة
للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

آثرت الحكومة البريطانية أن تنلط فى فلسطين غلطتها فى مصر ، فاعتقلت رجال اللجنة العربية العليا ، وحملتهم فى بارجة حربية تمضى بهم الآن إلى سيشيل . وهذا عين ما صنعته فى مصر لما ضاقت بالحركة الوطنية فيها ذرعاً ، وتوهمت أنها إذا قبضت على رجال الوفد سهل عليها بعد ذلك أن تكفل الراحة لنفسها ، والاطمئنان على تحقيق غاياتها فى مصر . فذهب الزعماء إلى سيشيل وبقوا فيها ماشاءت السياسة البريطانية ، فلم تخمد الحركة الوطنية ، ولم يعدل المصريون عن مطالبتهم بالاستقلال ، ولم يكفوا عن السعي لاسترداد حريتهم القومية ، ولم ترجح كفة المتدلين بعد أن أقصى الذين كانت تسميهم المتطرفين ، وانتهى الأمر بالافراج عن المعتقلين واطلاق سراحهم وعودتهم إلى وطنهم ، ثم لم تجد السياسة البريطانية بدأً من الرجوع إلى هؤلاء المتطرفين وغيرهم من زعماء البلاد للاتفاق معهم على حل تستقر به العلاقات بين البلدين على حدود معقولة معروفة

والذى فعلته السياسة البريطانية فى مصر وأخفقت فيه ، ولم تجد منه جدوى ، تفعله الآن فى فلسطين ، وما تظن بها إلا أنها ستخفق هناك أيضاً . فان رجال اللجنة العربية العليا ليسوا رجال تهييج ، ولا هم الذين يحرضون على أعمال الارهاب أو الاغتيال التى أثارت ثائرة البريطانيين ، وأغرتهم بهذا العنف الذى تأخذ به زعماء العرب الآن ، وإنما هم رجال سياسة يطالبون بحق بلادهم ويدافعون عنه ، ويسعون للفوز به بالطرق المشروعة . ومن غرائب التفكير المقلوب أن الصحف البريطانية تقول فى تعليقها على هذا الاعتقال والنفي إن القبض على المتطرفين خليق أن يفسح المجال لغيرهم من المعتدلين ، ويشجعهم على الظهور والمطالبة بآرائهم التى كانوا يخافون الجهر بها . وتنسى هذه الصحف أن الأمر ليس أمر اعتدال وتطرف ، وإنما هو أمر حق للبلاد يطلبه الجميع بلا فرق ، ويجمعون عليه بلا تفاوت أو شذوذ أو اختلاف . ومن البعيد جداً أن يجرؤ أحد على التقدم باسم الاعتدال والمتدلين بعد أن نكلت الحكومة البريطانية برجال اللجنة العربية العليا . وأخلق بكل عربى من أهل فلسطين أن يستنكر هذا العنف الذى لا مسوغ له ، وذلك الظلم الذى يتزل برجال اللجنة العربية . والمعقول أن يمتنع العرب — متطرفوهم والمعتدلون منهم إذا صح أنهم فريقان — عن التقدم إلى الانجليز لمفاوضة أو مباحثة قبل أن يرفع الظلم عن اخوانهم . وإذا صح أن فى فلسطين اعتدالا وتطرفاً وأن المعتدلين كانوا يخشون الظهور بآرائهم الحقيقية أمام المتطرفين — وهو ما لا نعتقد أنه صحيح — فالبداهة تقول إن هؤلاء حقيقون أن يخشوا الظهور الآن بعد الذى كان من الاعتقال والنفى حتى لا يتهموا بالتواطؤ مع البريطانيين على إقصاء رجال اللجنة العربية عن الميدان

فالذى فعلته الحكومة البريطانية لا خير فيه ولا جدوى منه ؛ وكل ما هو خليق أن يثمره هو أن يوقع فى روع العرب أن بريطانيا ممالئة للصهيونية ، ومناوئة للعرب ؛ وأنها تلجأ الآن إلى وسائل الضغط والعنف والتخويف والإرهاب بعد أن أعيتها الأساليب السياسية . وإلا فلماذا تختص بريطانيا العرب بهذا العنف وتخاشنهم على حين تسالم الصهيونيين وتحاسنهم ؟ وإذا كانت حوادث الاغتيال التى وقعت هي التى استوجبت اللجوء إلى هذه الأساليب العنيفة ، فقد كان يحسن بالحكومة البريطانية أن تذكر أن الذين اغتيلوا كان أكثرهم من العرب ، وأن ممن وقع الاعتداء عليهم بعض زعماء العرب أنفسهم ، وأن هناك اغتيالات وقعت من الصهيونيين أيضاً ، وهذا ما لا شك فيه . فلماذا تأخذ العرب وحدهم بذلك وتدع الصهيونيين ؟ على أن زعماء العرب لم يكفوا قط عن دعوة الشعب إلى التزام السكينة والهدوء وضبط النفس والمحافظة على اتزان الأعصاب حتى فى أعصب الأوقات ، لأنه ليس مما يساعد على تحقيق غاية العرب ويكفل للزعماء الفوز بالحصول على ما ينشدون من الحرية ومن المحافظة على حقوق البلاد أن يقع اضطراب يمكن أن يستغله خصوم القضية العربية وأنصار الوطن القومي والصهيونية . فحوادث الاغتيال التى وقعت هي فى الحقيقة معاكسة لمساعى العرب وإساءة إليهم ؛ ولو وسع زعماء العرب أن يقطعوا دابرها لفعلوا ولما ترددوا ، ولكنهم ليسوا الحكومة ، وليس أمر الأمن والنظام إليهم ، ولا فى أيديهم زمامه ؛ فمن أشد الظلم وأصرخه أن يؤخذوا بما يشكون هم منه ، ويرون فيه إحباطاً لسعيهم ومناوأة لهم

ومن الواضح أن هذا مظهر اضطراب شديد فى السياسة البريطانية ، فقد كان المفهوم من موقف ممثلها فى عصبة الأمم أنها لم تعد ترى فى مشروع التقسيم حلاً مقبولاً لمسألة فلسطين ، وأنها ستعيد النظر فى الأمر ؛ بل لقد صرحت أنها تنوي أن تبعث إلى فلسطين بلجنة أخرى تتناول الموضوع بالدرس والبحث من جديد ، وتفاوض رجال العرب وزعماءهم وممثلى الصهيونية لعلها تهتدى إلى حل آخر يكون أكفل بإرضاء الفريقين . وكان المفهوم أيضاً أنها بهذا تفسح لنفسها فى الوقت وترجئ الحل إلى أن يتيسر ؛ ولا يتفق هذا وسلوكها العنيف ، فإن الذى يريد المفاوضة والتفاهم لا يلجأ إلى الشدة والضرب على الأيدى والتحبيس . ومن عساها تفاوض أو مع من ترجو أن تتفاهم إذا كانت تشرد الزعماء فى نواحى الأرض وتقصيهم ؟ أتفاوض العامة أو من يا ترى ؟ وما هي الجدوى على كل حال من هذه السياسة العنيفة ؟ سؤال نلقيه ونحن نتعجب ، فإن اعتقال رجال اللجنة العربية لا ينفع أحداً من الانجليز أو الصهيونيين ، لأن هؤلاء الرجال إنما يمثلون رأى الأمة ويتكلمون باسمها ، والانجليز يشاؤون أن يشكوا فى ذلك ،

وأن يزعموا أن هناك معتدلين مستعدين للظهور والتقدم متى خلا المجال من هؤلاء المتطرفين الإرهابيين . وسيرى الانجليز أنهم فى هذا مخطئون كخطئهم فى اعتقال زعماء المصريين مرتين ونفيهم أولا إلى مالطة ثم إلى جزيرة سيشيل . وسيتبين الانجليز أنهم أوغروا صدور العرب بلا موجب ومن غير عوض ، وحملوا العرب فى كل مكان على إساءة الظن بالسياسة البريطانية بعد أن كان العرب يعتقدون أن بريطانيا حليفة طبيعية لهم ، وأنها أولى بصداقتهم ومحالفتهم . ولا ندرى ماذا تكسب بريطانيا من إسخاط العرب وإيغار صدورهم ؛ ولكنا ندرى أن يأسهم من صداقتها ومن إمكان التفاهم معها بالعدل والإنصاف قد يدفعهم إلى ما تكره بريطانيا ويحملهم على النظر فى أمرهم من ناحية جديدة ، وعلى طلب حقهم بوسائل جديدة . فإذا كان فى هذا مكسب للسياسة البريطانية فإنه ينقصنا أن نعرفه . ولن يكون العرب إلا معذورين إذا التمسوا حقهم من طريق آخر غير طريق الاعتماد على روح العدل والإنصاف عند بريطانيا

ابراهيم عبد القادر المازنى

فى التاريخ السياسى

حوادث الشرق الأقصى

والحرب بين الصين واليابان

بقلم باحث دبلوماسى كبير

تضطرم الحرب فى الشرق الأقصى بين الصين واليابان منذ ثلاثة أشهر ؛ وهى حرب غير رسمية ، بدأت لأسباب تافهة ، واتسع نطاقها بسرعة ، وأضحت خطراً حقيقياً على السلام . ومن المحقق أنها لم تكن لتنشب لو لم ترد اليابان نشوبها . وأن اليابان تشهرها على الصين وفقاً لخطة مقررة ، وتحقيقاً لغايات بعيدة المدى ؛ وهى ليست فى الواقع إلا خطوة جديدة فى سبيل تنفيذ السياسة التى رسمتها اليابان لبسط نفوذها على الصين واستعمار مناطقها الغنية تباعاً ؛ وقد بدأت هذه السياسة منذ سنة ١٩٣١ حينما غزت اليابان ولاية منشوريا بحجة المحافظة على مصالحها وأرواح رعاياها من فوضى الإدارة الصينية ، وانتهت بفتح هذه الولاية واقتطاعها من الصين ، وإقامة حكومة صورية فيها تخضع لرأيها وتأتمر بأوامرها ؛ وكان فتح اليابان لمنشوريا اعتداء صريحاً على الأراضى الصينية تؤيده القوة الغاشمة وحدها ؛ ولكن اليابان لم تحفل بما أثاره الاعتداء يومئذ لدى الدول العظمى من ضروب الاحتجاج والتوجس ، ولم تحفل بنوع خاص بتدخل عصبة الأمم ولا بما اتخذته ضدها من قرارات تقرر مسئوليتها وعدوانها ، بل قابلت هذا التدخل بالانسحاب من العصبة ، ومضت فى تنفيذ خطتها بجرأة لامثيل لها . ولم تكتف بفتح ولاية منشوريا والاستيلاء عليها ، بل حاولت أن ترغم الصين على الاعتراف بهذا الفتح ، فبعثت جيوشها إلى الأقاليم المجاورة لتقضى على كل مقاومة صينية ، وغزت ثغر شنغهاى لكى تهدد حكومة نانكين الوطنية وتحملها على الخضوع لمطالبها ؛ ولكن الحكومة الوطنية قابلت القوة بمثلها ، واستطاعت أن ترد القوات اليابانية عن ثغر شنغهاى بعد معارك طاحنة ، ووقفت الأمور يومئذ عند هذا الحد وقنعت اليابان مؤقتاً بغنيمتها الأولى

ومن ذلك الحين واليابان تفصح بين آونة وأخرى عن خططها ونياتها نحو الصين بأعمال وأقوال لاتترك مجالاً للشك فى مقاصدها الحقيقية ؛ فهى لم تكد تستقر فى منشوريا حتى عادت تهدد الأقاليم الصينية الشمالية فى منطقتى شاهار وجيهول ، وتثير عليها من آن لآخر مختلف الأعذار والحجج . ولما كانت الحكومة الصينية الوطنية فى ظروف لا تمكنها من إرسال جيوشها إلى تلك الأقاليم النائية ، فقد تركت أمر المقاومة للجيوش المحلية ؛ ولكن الجيوش المحلية قاصرة الأهبة والعدد ، ولا يضمن ولاؤها دائماً ؛ ومن ثم استطاعت اليابان بتفوقها الحربى أن تبسط على منطقة شاسعة من الأقاليم الشمالية شبه حماية عسكرية . كل ذلك وحكومة نانكين الوطنية تستغيث بعصبة الأمم وبالدول العظمى التى ضمنت بمعاهدة « الدول التسع » استقلال الصين وسلامة أراضيها ، فلا تجد مغيثاً غير الاحتجاج والتصريحات العقيمة ؛ واليابان فيما بين ذلك تتوغل تباعاً فى أراضيها لاتلوى على شيء

ومنذ عامين طلعت اليابان على الدول بتصريح جديد فى غاية الخطورة ، خلاصته أن اليابان لاتطيق بعدُ أى تدخل جديد من الدول الغربية فى شئون الصين ، وأنها تعتبر أي محاولة جديدة من جانب الدول الغربية لتوسيع نفوذها أو مناطق امتيازها فى الصين عملاً غير ودى بالنسبة إليها . ولم تقصد اليابان بهذا التصريح الذى صيغ على مثال تصريح منرو الأمريكى أن تعلن عطفها على الصين أو تضامنها معها ضد عدوان الدول الغربية ، كما قصدت السياسة الامريكية باعتناق مبدأ الرئيس منرو وطبقته منذ نحو قرن بهذا المعنى بالنسبة للدول الامريكية ، ولكنها قصدت غاية أخرى أبعد مدى ، وهى أن تجعل من الصين ميداناً لنشاطها الاستعمارى دون الدول الأخرى ، وأن تستأثر وحدها بتوسيع نفوذها السياسى والاقتصادى فى مناطقها الغنية ، وأن تقتطع من أراضيها ما استطاعت كما فعلت بالنسبة لكوريا ومنشوريا .

وعلى هذا الأساس الغريب أرادت اليابان أن تفهم فكرة الجامعة الأسيوية وأن تطبقها ، فهي ترى أنها أحق الأمم باستعمار الصين ، وأنه إذا كانت الصين لا تستطيع أن تنظم شئونها وتجمع كلمتها ولا أن تدافع عن نفسها الاستعمار الغربى ، فان اليابان تأخذ على نفسها تلك المهمة بوضع الصين تحت نفوذها وحمايتها ، وبذلك يمكن في نظر اليابان أن تحقق فكرة الجامعة الأسيوية ومبدأ آسيا للأسيويين . وقد كان لهذا التصريح وقع عميق فى أوربا وأمريكا ، ولكنه مر كما تمر باقى الحوادث فى الشرق الأقصى أمام نظر الدول وسمعها ولم يثر سوى الاحتجاجات الدبلوماسية العادية . ذلك أن أوربا مشغولة بمشاكلها الخاصة ، والدول العظمى متخاصمة مفرقة الكلمة ، ولم يعد للجبهة الأوربية القديمة قيمة دبلوماسية ذات شأن ؛ واليابان تعرف هذه الظروف وتستغلها ، وتعرف أن سياسة المفاجأة والأمر الواقع في الشرق الأقصى لايمكن أن تلقى فى مثل هذه الظروف من أوربا الممزقة المشغولة بخصوماتها وخلافاتها الخاصة مقاومة يعتد بها

وعلى هذا المنوال قامت اليابان فى العام الماضى بحركتها لفصل الصين الشمالية عن الصين الجنوبية ، وحاولت بالقوة القاهرة أن تملى إرادتها على زعماء الشمال وعلى حكومة نانكين وأن تفرض على الولايات الشمالية نوعاً من الحكم المستقل يكون تحت إشراف السلطات العسكرية اليابانية ، وقرنت الوعيد بالعمل فغزت الأقاليم الشمالية وهددت بكين العاصمة القديمة ، ووجهت بلاغاً نهائياً إلى الحكومة الوطنية ؛ بيد أن الحكومة الوطنية أبت أن تذعن للوعيد ؛ ولكنها اضطرت أن تترك الشمال لمصيره ، واستطاعت اليابان أن تحقق مشروعها بإرغام زعماء الشمال على إنشاء إدارة مستقلة عن حكومة نانكين

ولم تمض على هذه الحركة التى تفصح عما وراءها بضعة أشهر حتى شهرت اليابان على الصين تلك الحرب الجديدة التى يتسع نطاقها يوماً عن يوم ، والتى شملت الشمال والجنوب ، والبر والبحر والهواء ؛ وانتحلت اليابان لإثارتها عذراً تافها هو أن حامية بكين أطلقت النار على جنود يابانية كانت تقوم بمناورات فى البقعة المجاورة وظهر فيا بعد أن جنود الحامية اعتقدوا خطأ أن اليابانيين ينظمون على الحامية هجوماً حقيقياً . ولو كانت اليابان تعمل عن حسن نية وتقصد الانتصاف لجنودها فقط لا كتفت بالاجراءات الدبلوماسية التى تتخذ فى مثل هذه الأحوال من طلب الاعتذار والتعويض ؛ ولكن اليابان ، وهي تعمل وفقاً لخطة استعمارية مرسومة ، اتخذت هذا الظرف ذريعة للقيام بحركة جدية واسعة النطاق لتحقيق خطتها ، فوجهت إلى الحكومة الوطنية إنذاراً نهائياً بقبول مطالبها الخاصة بفصل الأقاليم الشمالية ، وغزت جنودها فى الحال إقليم شاهار ، وبعثت جيشاً وأسطولاً إلى شنغهاى أعظم الثغور الصينية ، ونفذت قواتها البحرية إلى النهر الأصفر (ينج تسى) متجهة إلى نانكين عاصمة الصين الوطنية ، وضربت الحصار البحرى على جميع شواطىء الصين ، ونظمت على العواصم الصينية الآهلة مثل كنتون ونانكين وبكين عدة غارات جوية فتكت بالسكان الآمنين ، وما زالت الجيوش اليابانية تتدفق على الصين من الشمال والجنوب ، ونطاق الحرب يتسع بسرعة مروعة . أما الحكومة الصينية الوطنية فقد رفضت منذ البداية كل المطالب اليابانية وأعلنت عزمها الثابت على مقاومة الاعتداء بكل قوتها ؛ وأعلن المارشال تشانج كايشك رئيس الحكومة الوطنية وقائد جيوشها أن الصين سوف تقاوم حتى يجلو آخر يابانى عن الأراضى الصينية . وهكذا اضطرمت الحرب فى الصين بين الجيوش اليابانية المغيرة وبين الجيوش الصينية الدافعة ، ومع أنها لم تعلن بعد بصفة

رسمية ، فإنها تكاد تشمل اليوم كل المناطق الهامة في الشمال والجنوب

ويتلخص الموقف الآن فيما يأتي: عبرت الجنود اليابانية شاهار وزحفت على شانص شمالاً ؛ ونفذت إلى شانتهاى والنهر الأصفر جنوباً ، وهذه هي أهم ساحات القتال لأن فيها تقع معظم مناطق الدول الممتازة مثل بريطانيا العظمى وفرنسا وأمريكا . وتجد اليابان مصاعب جمة في التقدم في هذا الاتجاه نحو نانكين عاصمة الصين الوطنية ، لأن الدول تأبى اخلاء مناطق امتيازها وتنذر اليابان بسوء العاقبة إذا وقع الاعتداء عليها . وقد ارتكبت الجنود اليابانية أكثر من حادث أثار احتجاج الدول مثل إلقائها القنابل على سيارة السفير البريطاني وجرحه . وتشتد المقاومة الصينية في هذه المنطقة بنوع خاص لأنها مركز الحكومة الوطنية ومجمع قواتها . وقد كانت اليابان تؤمل أن تحرز نصراً سريعاً يرغم الصين على قبول مطالبها ؛ ولكنها ما زالت بعد ثلاثة أشهر من القتال حيث بدأت ، ولم تذعن الصين ولم يهن عزمها ؛ وقد اضطرت اليابان إزاء ذلك أن تعلن أنها ستمضي في الحرب إلى النهاية ؛ وألقى البرنس كونوى رئيس الحكومة اليابانية تصريحات رسمية حدد فيها أغراض اليابان من الحرب بما يفيد أن اليابان ترمى إلى تحطيم الجيوش الصينية الوطنية وحزب الكومنتانج (الحزب الوطني) لأنها هي التي تثير روح الخصومة والمقاومة ضد اليابان ، وأن اليابان على استعداد لمهادنة حكومة صينية جديدة تقبل التعاون معها ؛ فاذا لم تقبل الصين هذا التعاون السلمي فان اليابان على أهبة لحرب طويلة الأمد . والمفهوم من هذه التصريحات أن اليابان تؤمل أن تفضي هزيمة الجيوش الوطنية إلى قيام حكومة صينية جديدة مستعدة لقبول مطالب اليابان في استقلال الصين الشمالية والاعتراف بحكومة منشوكيو (منشوريا) ، ومنح اليابان امتيازات اقتصادية كبيرة ، وقبول المستشارين اليابانيين في معظم الادارات الهامة ؛ أو هي تؤمل بعبارة أخرى قيام حكومة تخضع لوحيها ورأيها وسلطانها

ولكن تطور الحوادث لا يؤيد هذه الآمال ، بل لقد أفضى اعتداء اليابان بالعكس إلى نتائج عامة لم يكن يتوقعها اليابان ؛ فان الخطر على كيان الصين القومية أثار في الصين روحاً جديداً ، وجمع كلمة الزعماء والقادة المحليين ، فانضموا جميعاً إلى الحكومة الوطنية في مقاومة الغزو الياباني ؛ ومن أسطع الأمثلة على ذلك أن الحزب الشيوعي الذي كان أخطر منافس للحكومة الوطنية ، أعلن انحلاله ووضع قواته العسكرية تحت تصرف الحكومة الوطنية ؛ وهكذا تلقى اليابان أمامها بدلاً من الصين الممزقة المتخاصمة جبهة موحدة تجمع على الكفاح والمقاومة ؛ وهكذا يثير الخطر الخارجي ضرام الوطنية الصينية مرة أخرى بعد مافترت في الأعوام الأخيرة ، ويمد الصين بقوى معنوية عظيمة في هذا الصراع الذي يقصد به تمزيق وحدتها والقضاء على كيانها القومي . وسيكون الفصل في هذا الصراع للقوة المادية قبل كل شيء ، ولكن لاريب أن اليابان تزج بنفسها في مغامرة عظيمة خطيرة العواقب ، وهي قد تحرز اليوم بتفوقها الحربي بعض الانتصارات العاجلة ، ولكن الصين قطر بل قارة عظيمة مترامية الأطراف ، ذات موارد هائلة ، وكلما طالت الحرب ثقل عبئها على اليابان وعلى مواردها المحدودة ؛ هذا إلى أن الصين الوطنية قد اكتسبت في الحروب الأهلية المتوالية خبرة عسكرية لا بأس بها ؛ وسوف نرى في المستقبل القريب ماذا تسفر عنه هذه الحرب الاستعمارية التي لا سند لها من الحق أو العدالة أو القانون

(***)

ياقوت

للأستاذ محمد كرد علي

كان مولد ياقوت عبد الله شهاب الدين في بلاد الروم سنة ٥٧٤ وأخذ أسيراً وهو صبي فقيل له الرومي ، واشتراه في بغداد تاجر يعرف بعسكر الحموي فنسب إليه فقيل له ياقوت الحموي أيضاً . ونشأ نشأة إسلامية لجعله سيده في الكتاب يتعلم ما يستفيد هو منه في ضبط متاجره ، وقرأ شيئاً من النحو واللغة ، وشغله مولاه بالأسفار ثم أعتقه في سنة ٥٩٦ ، فاشتغل بالنسخ بالأجرة ، وحصل بالمطالعة فوائد ، وعاد مولاه فأعطاه شيئاً وسفره إلى كيش وعُمان ؛ ولما عاد ياقوت من سفرته كان مولاه قد مات ، فأعطى أولاد مولاه وزوجته ما أرضاهم به ، وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتباً ، وسهل عليه بتجارته أن يطوف الشام والعراق والجزيرة وخراسان ، واستوطن مرو ودخل خُوارَزمْ وغيرها ، أو كما قال عن نفسه إنه جاب البلاد ما بين جيحون والنيل . وأقام مدة في حلب عند الصاحب الأكرم القفطي المصري وزير حلب ، وأهدى إليه كتاب معجم البلدان ، وفي حلب مات سنة ٦٢٦ هـ

لقي ياقوت في حياته هناء وشقاء ، شهد وقائع التتر في خراسان ، ووصف ما فعلوه في بلاد الاسلام ، وانهزم منهم لا يلوي على شيء ، وفقد ثروته حتى عد من المفلوكين . وكان مرة في دمشق فناظر بعض من يتعصب لعلي بن أبي طالب ، وجرى بينهما كلام ، فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم ، وخرج من دمشق منهزماً إلى حلب . وقال عن نفسه إنه كان قدم نيسابور في سنة ٦١٣ وهي مدينة الشاذياخ فاستطابها ، وصادف بها من الدهر غفلة خرج بها عن عادته ، واشترى بها جارية تركية ما رأى أن الله تعالى خلق أحسن منها خَلقاً وخُلقاً ، وصادفت من نفسه محلاً كريماً ، ثم أبطرته النعمة فاحتج بضيق اليد فباعها فامتنع عليه القرار ، وجانب المأكول والمشروب حتى أشرفت نفسه على البوار ، فأشار عليه بعض النصحاء باسترجاعها فعمد لذلك ، واجتهد بكل ما أمكن ، فلم يكن إلى ذلك سبيل ، لأن الذي اشتراها كان متمولاً ، وصادفت من قلبه أضعاف ما صادفت منه ، وكان لها إليه ميل يضاعف ميله إليها ، فخاطبت مولاها في ردها على ياقوت بما أوجبت به على نفسها عقوبته ، فقال في ذلك قصيدة منها :

أأنّ ومن أهواه يسمع أنتي ... ويدعو غرامي وجده فيجيب

وأبكي فيبكي مسعداً لي فيلتقي ... شهيق وأنفاس له ونحيب

ومن جملة ما ألف ياقوت من الكتب ثلاثة مطبوعة ، أولها « معجم البلدان » وثانيها « المشترك وضعاً والمختلف صقعاً » وثالثها « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » أو طبقات الأدباء . رتب معجم البلدان على حروف المعجم ، وذكر فيه أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان ، والقرى والمحال والأوكان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأوثان مضبوطة بالشكل . واعتمد في تأليفه على من كتب قبله في الجغرافيا من العرب ، وعلى اللغويين ودواوين العرب والمحدثين وتواريخ أهل الأدب ، والتقط من أفواه الرواة وتفاريق الكتب ، وما شاهده في أسفاره وحققه بنفسه من أسماء البلدان ما عظمت به فائدته . وفي كل ما كتب ظهرت إجادته وما ينقله عن غيره قد يكون فيه نظر ، ويتبرأ هو من عهدته . فقد قال مثلاً في مدينة الصفر : ولها قصة بعيدة من الصحة لمفارقتها العادة ، وأنا بريء من عهدتها ، إنما أكتب ما وجدته في الكتب المشهورة التي دونها العقلاء . وقال فيما نقل عن الصين : هذا شيء من أخبار الصين الأقصى ذكرته كما وجدته لا أضمن صحته ، فإن كان صحيحاً فقد ظفرت بالغرض وإن كان كذباً فتعرف ما تقوله الناس ، فإن هذه بلاد شاسعة ما رأينا من مضى إليها فأوغل فيها وإنما يقصد التجار أطرافها . فكأن ياقوت بما ينقل من الأوهام والخرافات إلى جانب الحقائق الثابتة يريد ألا يخلي كتابه من كل أطروفة ولو كانت سخيفة ليستفيد منه الجاهل ، ويتفكه به العالم ، ويتملح المتعلم الأديب ، ويقتبس الباحث . وتوسع خاصة في الكلام على المدن التي أنشأتها العرب وحرص على الإلمام بأخبار فتوح البلاد وحاصلاتها وأموالها وعمرانها وعادياتها ومصانعها وأخلاق أهلها ، وما وقع فيها من الوقائع التاريخية المهمة وما قيل فيها من الأشعار البديعة ، فأمتع قارئه بكل مفيد ، بحسب ما وصل إليه علمه وعلم جيله ، أو قرأه في كتاب ، أو استقراه بنفسه ونقله عن الثقات . وهذا القسم جاء في معجمه مما أدركه في عصره ، أو اقتبسه من

الأصول المتقنة في خزائن مرو ، قال : وكانت سبلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر ، وبغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار . وما كان يفارق مرو لولا ما عراها من ورود التتر إلى تلك البلاد ، وما كان لهم من الأثر القبيح في خرابها . ويتألف من الأبيات والقصائد التي استشهد بها ياقوت في معجم البلدان ديوان جميل ، يحوي كل ما يفيد من رائق الشعر ، وكذلك من عجائب البلدان الخليقة وأخلاق الناس ، ودرجة الرفاهية والثروة في مصره ، وأفاض في كلامه على البلدان بذكر من خرج منها أو نسب إليها من الأعيان ، ولا سيما رجال الحديث . وكتابه خاص ببلاد الاسلام والشرق وذكر بعض أسماء المدن في بلاد الافرنج وهو يتحفظ فيما ينقل عن حال البلاد الأخرى . ومما قال في الروم : « وفي أخبار بلاد الروم أسماء عجزت عن تحقيقها وضبطها فليعذر الناظر في كتابي هذا ، ومن كان عنده أهلية ومعرفة ، وقتل شيئاً منها علىّ ، فقد أذنت له في إصلاحه مأجوراً »

أما كتاب « المشترك وضعاً والمفترق صقعاً » فقد انتزعه بنفسه من معجم البلدان ، واقتصر فيه على ما اتفق من أسماء البقاع لفظاً وخطاً ، ووافق شكلاً ونقطاً ، واقترن مكاناً ومحلاً ، توفيراً لوقت المطالع الذي يحب السرعة في تلقف الفوائد ، وبعداً به عما ذكره في معجمه الكبير من الاشتقاق والشواهد والنكت والفوائد والأخبار والأشعار . ودعا ياقوت على من يختصر بعده كتابه معجم البلدان ، وما خلا مع هذا من بضعة مؤلفين حاولوا ذلك وفيهم صفي الدين عبد المؤمن سمى مؤلفه « مراصد الاطلاع » قال ياقوت في الكلام على اختصار كتابه : اعلم أن المختصر لكتاب كمن أقدم على خلق سوىّ فقطع أطرافه فتركه أشل اليدين أبتر الرجلين ، أعمى العينين ، أصلم الأذنين ، أو كمن سلب امرأة حليها فتركها عاطلاً ، أو كالذي سلب الكمي سلاحه فتركه أعزل راجلاً . وقد حكي عن الجاحظ أنه صنف كتاباً وبوبه أبواباً ، فأخذه بعض أهل عصره فحذف منه أشياء وجعله أشلاء ، فأحضره وقال له : يا هذا إن المصنف كالمصور ، وإني قد صنفت في تصنيفي صورة كانت لها عينان فعورتهما ، أعمى الله عينيك ، وكان لها أذنان فصلمتهما ، صلم الله أذنيك ، وكان لها يدان فقطعتهما ، قطع الله يديك ، حتى عدّ أعضاء الصورة . فاعتذر إليه الرجل بجهله هذا المقدار ، وتاب إليه عن المعاودة إلى مثله

بقي أن نطلق القول في كتاب ياقوت الثالث وهو (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) وقد جمع فيه ما وقع إليه من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة وكل من صنف في الأدب تصنيفاً ، مثبتاً وفياتهم ومواليدهم وتصانيفهم وأخبارهم وأنسابهم وأشعارهم . قال : فأما من لقيته أو لقيت من لقيه ، فأورد لك من أخباره وحقائق أموره مالا أترك لك بعده تشوقاً إلى شيء من خبره . وقال إنه جمع البصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان ، وذلك على حروف المعجم أيضاً . وقال في الاعتذار عن نفسه ، وعمن يقول له إن الاشتغال بأمر الدين أهم : « إن هذه أخبار قوم عنهم أخذ القرآن والحديث ، وبصناعتهم تنال الإمارة ويستقيم أمر السلطان والوزارة وبعلمهم يتم الاسلام ، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام » وإن كتابه هو علم الملوك والوزراء والكبراء يجعلونه ربيعاً لقلوبهم ، ونزهة لنفوسهم .

وإرشاد الأريب من أوسع كتب التراجم ؛ وقد لا تتعادل التراجم فيه ، فيكتب في الرجل العشرين والثلاثين صفحة حتى لم يبق زيادة لستزيد ؛ وقد يكتب في المظلم أيضاً أسطراً معدودة وخصوصاً في أواخر الكتاب حتى ليظن من لم يقف على ترجمة المترجم به أنه من المغمورين . وما أدري إن كان أتى ذلك من المؤلف أم من النساخ والناشرين . وعلى كل فارشاد الأريب أو الجزء الذي طبع منه كنز ثمين للأدب ، ومنجم فيه الركاز والذهب ، فرائد يلتقطها صاحبها ولا سيما وأن ياقوت نقل من كتب جليلة ضاع بعضها على نحو ما نقل من كتب مرو قال إن أكثر فوائد معجم البلدان منقول من خزائنها

وقال في كتابه إرشاد الأريب أيضاً : وربما قال بعضهم إنه تصنيف روىّ مملوك ، وما عسى أن يأتي به ؟ إن القوم لا ينظرون ماقيل إنما يسألون عمن قال . ولو عاش ياقوت ورأى بعد أكثر من سبعة قرون كتابيه معجم الأدباء ومعجم البلدان اللذين لا يستغني عنهما باحث ولا أديب وأنهما من الكتب الأمهات التي حوت كل طريف مفيد تزيد على القرون حسناً وتتبين حاجة الناس إليها ، لاغتبط وعرف أن ما كان يقوله الناس فيه ، قالوه في أمثاله في كل عصر ثم ذهب لغط المتقولين والطاعنين وثبت علم العالمين والمتأدبين والباحثين .

محمد كرد علي

إلى لبنان

صور وخواطر

للأستاذ علي الطنطاوي

لقيني الأستاذ عز الدين التنوخي ، وكنت قادماً من سفر .

فقال لي : هلمّ !

قلت : إلى أين ؟

قال : إلى الجبل نزور أمير البيان ، ورجل الاسلام شكيب أرسلان

قلت : ما أعدل والله بزيارته شيئاً ؛ ولكني آتٍ من سفر ولم أبلغ داري

قال : اطمئن فان الدار في محلها لم تطر ، وما عليك أن تراها غداً ؟

قلت : ما علي من شيء ، وسرت معه . ولم أعد أرى السفر شيئاً ، لأني أصبحت في هذه السنين الأواخر كذلك الذي كان (موكلاً بفضاء الله يذرعه) فلا أكاد ألقي عصا التسيار وأحط الرحال من سفر ، حتى أتهيأ لآخر . أطوّف ما أطوّف ، ثم آوي إلى هذه الغرفة الصغيرة أجلس بين ركام الكتب أحسب ما كسبت من هذا العناء الطويل ، فلا أجدني كسبت إلا صوراً في الذاكرة أضمها إلى صور ، وذكرى في النفس أجمعها بذكرى ، وصفحة في دفتري أضيفها إلى صفحة أسمد بتدوينها ، وأسرّ بيقائها ، وإن كنت لا أدوّن إلا الأقل مما أراه وأشعر به ، ولا أذكر إلا التافه مما يمر بي . وإن كنت أعلم أن صور الذاكرة إلى امحاء ، وذكريات النفس إلى ضياع ، وقصص الدفتر إلى السكين والنار لا يزهدني ذلك بها ، ولا يصرفني عنها ، لعلمي أن الحياة نفسها ستموت ، والوجود سيعدم ، ولا يبقى في الوجود إلا الموجد

* * *

وكنا خمسة في السيارة : الأستاذ التنوخي ، وأنا ، والأستاذ الشيخ بهجة البيطار ، والأستاذ الشيخ بهجة الأثري ، والشيخ ياسين الرواف معتمد المملكة السعودية في دمشق سابقاً ...

خرجنا من دمشق مع الغروب ... وكان اليوم جمعة ، وكانت ليلة قمراء ، فسالت الطرق بالدمشقيين على عادتهم في مثل هذه الليالي فامتلأت جوانب بردى ، والمرجة الخضراء ، والربوة ، ووادي الشاذروان أجمل أودية الدنيا وأحلاها — بخير الفتيان ، وأجمل الفتيات ، وأحلى الأطفال ؛ فلم يكن أمتع للعين ، ولا أشهى للقلب ، من ذلك المشهد . فسرنا في هذا العالم الساحر ، مترفقين متمهلين ، لأننا لا نمشي في طريق وإنما نمشي في بحر من العيون والقلوب والمفاتن جمع كل جميل بارع أخاذ ، حتى بلغنا دمّر :

والحور في دمّر أو حول هامتها
حور تكشف عن ساق وولدان[1]

فوقفنا نمتع الأنظار بحوّرها وحورها ، وشموسها وبدورها ؛ وأنت مهما عرفت دمشق لا تزال ترى فيها أبداً جمالا تجهله ولا تعرفه ، ففي كل يوم جمال جديد ، وفي كل مكان فتنة جديدة ، فلا تدري أين تقف ، وماذا تنظر ، وأيا تفضل ؟ أوادي الشاذروان أم جنائن الغوطة ، أم جبال بلودان ، أم العين الخضراء ، أم سهول الزبداني ، أم العيون التي لا يحصيها عدد ؟ ...

سقى الله ما تحوي دمشق وحياها ... فما أطيب اللذات فيها وأهناها
نزلنا بها واستوقفتنا محاسن ... يحنّ إليها كل قلب ويهواها
لبسنا بها عيشاً رقيقاً رداؤه ... ونلنا بها من صفوة اللهو أعلاها
سلام على تلك المعاهد إنها ... محط صبابات النفوس ومثواها
رعى الله أياماً تقضت بقربها ... فما كان أحلاها لديها وأمراها[2]

* * *

خلينا الهامة وجرايا بلدة ابن واسانة[3] والوادي كله عن أيماننا ، وأسندنا إلى الجبل نستقبل الصحراء إلى ميسلون بلاط شهدائنا ، ومشهد أبطالنا ، ومبدأ تاريخنا الحديث ، ومثوى الأسد الرابض يوسف العظمة ، الذي وقف هو وأشبال دمشق العزل الأقلاء في وجه تلك دولة قوية ظافرة ، فما ضعفوا ولا استكانوا

(١) شوقي رحمه الله

(٢) ابن النقار

(٣) ولابن واسانة هذا قصيدة طويلة جداً ، من أعجب الشعر القصصي الواصي يصف فيها جماعة دعاهم إلى قريته ففعلوا معه الأفاعيل ، وهي قصيدة نادر مثالها نقلها في يتيمة الدهر للثعالبي (ج ١ ص ٣٠٠) المطبعة المصرية

ولا جبنوا ؛ وما زالوا يقاتلون ويدافعون عن العرين ثابتين ماثبتت الروح في أجسامهم ، حتى أعجزهم أن يعيشوا أشرافاً فماتوا أشرافا ؛ فكان موتهم حياة لهذه الأمة التي حفظت العهد وحملت الأمانة ؛ وكانت قبورهم مناراً أحمر في طريق هذا الشعب المجاهد المستميت لن يقف أو يتباطأ حتى يأخذ (الكل) الذي (أعطى) الآن (بعضاً) منه ، ولن ينام حتى يرى هذه الصحراء قد آتت جنات ألفافا ، تحمل الزهر الذي لا يسقى إلا بالماء الأحمر الملتهب تحمل أزهار الحرية

سيبقى هذا اللحد تمر عليه الأجيال الآتية ، الأجيال الحرة المعززة ، فتذكر جهاد أسلافنا ، وتعرف الثمن الذي دفعوه ، ولتعلم أن القوة إن غلبت الحق حيناً ، فان الحق يصنع القوة التي يغلب بها دائماً

سأذكر ما حييت جدار قبر ... بظاهر جلق ركب الرمالا
مقيم ما أقامت ميسلون ... يذكر مصرع الأسد الشبالا
تغيب عظمة العظمات فيه ... وأول سيد لقي النبالا
مشى ومشت فيالق من فرنسا ... تجر مطارف الظفر اختيالا
أقام نهاره يلقى ويلقى ... فلما زال قرص الشمس زالا
فكفن بالصوارم والعوالي ... ووسد حيث جال وحيث صالا
إذا مرت به الأجيال تترى ... سمعت لها أزيزاً وابتهالا(١)

* * *

ثم أخذت السيارة تصعد بنا في مسالك ملتوية مستديرة تزيغ الأبصار من استدارتها وعلوها ، حتى إذا ظننا أننا بلغنا قمة الجبل تكشفت لنا قنن فاذا نحن لا نزال في الحضيض ، وما فتئنا نعلو ونتسلق وندور حتى حاذينا (بلودان) درة المصايف الشامية ، وبدا لنا فندقها الفخم الضخم أكبر فندق في سورية كلها (إي ولبنان) الذي بنته الحكومة ليملأ الخزانة مالاً والجيوب ذهباً فملأ النفوس فساداً ، والأخلاق انحطاطاً ، لما أنشأوا فيه من بلايا وطامات زعموها حضارة ورقيا ، ورأيناها الموت الأحمر والبلاء الأزرق فكنا حين نبيع الأخلاق بالمال كمن يطرد ابنه من بيته ويربي فيه ذئبا ...

ثم عدنا نهبط ، وهذه سنة الحياة : « ماطار طير وارتفع إلا كما طار وقع » ولا علا رجل إلا هبط ، إلا رجلاً علا بعلمه وبأخلاقه ومواهبه ، فذاك الذي لايهبط أبداً بل يزداد رفعة ، لأن علمه لن ينسى ، وأخلاقه لن تذهب ، ومواهبه لن تضيع ، أما من علا على قوائم الكراسي وأعناق الشعب ، فأحر به أن يسقط مهما استمر علوه وطال بقاؤه

أقول : إننا مازلنا نهبط حتى انتهينا إلى سهل البقاع الخصب الأفيح الجميل ، الذي يفصل لبناننا (الشرقي) الأجرد المهيب الرهيب الذي ادرع المهابة ، واتشح بوشاح الخلود ، ولاحت عليه سمات الجلال ، والجد والوقار ، ولبنانهم (الغربي) المرح الفرح الأخضر الجميل ، الذي أتزر بالسحر ، وارتدى رداء الشعر ، وكلاهما أخاذ فاتن ، ولكن الأول جليل والثاني جميل ، والجنات الخالدات والفراديس الباقيات ، في دمشق على سفح لبنان الشرقي ... قال شوقي :

نبئت لبنان جنات الخلود وما ... نبئت أن طريق الخلد لبنان

وأنت حين يحتويك لبنان الغربي تحس بجماله وروعته ولكنك تشعر أنك أنت له ، وأنك جزء منه ، ولكنك تحس حين تكون في لبناننا أنه هولك ، وأنه جزء منك ، وشتان بين ماتكون أنت في قلبه ، وما يكون هو في قلبك ، وأنت حين تكون في لبنان الغربي تجد يد الانسان لم تبق من جمال الطبيعة إلا قليلاً ، وتجد ماتجد أكثره في المدن الكبرى ، ولكنك حين تكون في لبنان الشرق تجد الطبيعة الحلوة الفاتنة التي لم تبدلها يد الانسان ، وإنما احاطتها باطار يحفظها ويظهر جمالها

وقد زعموا الجبلين جبلاً واحداً ، صدعته حوادث أرضيه (جيولوجية) من زمن قديم ، لا أدرى متى كان لأني لم أدركه ولا أدركه أبي ، أعني آدم عليه السلام الذي توفي في الأمس القريب . وعلى ذكر آدم ... أليس من العار علينا أن نقيم حفلات الذكرى والتكريم لفلان وفلان ممن خدموا البشرية وننسى هذا الرجل العظيم الذي كان له أكبر الأثر في خدمة البشر ؛ ولم لايفكر الناس في إقامة حفلة تذكارية كبيرة لهذا الرجل ، يشترك فيها عارفو فضله ، ومن (بقي) حقيقة من نسله ؟

* * *

قلت : إن الجبلين كانا جبلاً واحداً ، والأمتين فيها أمة

(١) شوقي رحمه الله

واحدة ، ولكنك واجد فى هذه المسافة التى لاتتجاوز الساعتين جمهوريتين مختلفتين ، وعَلَمين متباينين ، وحدوداً كحدود ألمانيا وفرنسا ...

ألقاب مملكة ... ...

وسبحان خالق الهر ، وخالق الأسد ، وخالق كل شيء !

* * *

وأنخنا رواحلنا (أعنى وقفنا سيارتنا ، ولم يكن معنا رواحل ولا رحال) فى شتورة ، عروس السهل ، نستريح فيها قليلاً قبل أن نتسلق بالسيارة الجبل الذى لاتبلغ الطير ذراه ، ونصبح فى نصف طريق السماء . وإذا أنت شئت أن تتصوّر مبلغ مانعلو ، فتصوّر شارعاً طوله قرابة كيلين اثنين ، قد وقف على رأسه ، وكنت أنت فوقه تطلّ على الدنيا من عل ...

علونا فى جبال شجراء ضاحكة ، نجتاز القرى المتناثرة على السفوح والذرى ونرى الينابيع تتدفق من أعالي الصخور ، وتسيل فى بطون الأودية جذلة سكرى . وما زلنا فى علو ولفّ ودوران ، حتى بلغنا ظهر البيدر حيث صرنا فوق السحاب ، لا على المجاز أو المبالغة كما يقول الشعراء ، بل على الحقيقة التى يشاهدها الناس كلهم فقد كان السحاب يمسّ الذرى التى تحتنا ويلفح وجوهنا ويحجب عنا السهل والسفوح ، وكنا نعلو عليه أحياناً فلا يبلغنا ولا يمسنا ، ونراه يمر من تحتنا ، أشبه شيء بالغبار الأبيض تحمله الريح . حتى درنا تلك الدورة الكبيرة ، وأشرفنا على وادي (صوفر — حمانا) العظيم أوسع أودية لبنان وأجلها وقد ازدهى بالصنوبر وانتثرت على سفوحه عشرات القرى ولاحت مبانيها العظيمة وقصورها الشمّ

والروابي توسدت راحة السحـب ونامت على وشاح مرقق
والذرى البيض فى العلاء نسور حومت تكشف الخفي المغلق
نشرت في الفضاء أجنحها الزهـر فأسنى بها الوجود وأشرق
والقرى غلغلت بأخبية النيـب وضاعت بين الثمام المنمق
والينابيع ضاحكات من الزهـو ترامى فيها السنا وتألق
وتراءى البحر البعيد كحلم مبهم راجف الخيال ملفق
سرقته السماء فى الأفق الفا نى فمن أبصر الخضمات تسرق[1]

* * *

تمر على الانسان ساعات بل لحظات ينسى فيها هذا العالم المادى ، وهذه الحياة القصيرة الناقصة ، ويحس كأنه يعيش بنفسه حياة أكمل وأجمل ، تخالط نفسه مشاعر لا عهد له بها ، ولا يقدر على وصفها ، وتغمر قلبه لذة لا يعرف أى شيء هى، فيشعر أنه انتقل إلى عالم سحرى جنى عجيب ، كهذه اللحظات التى تمر علينا فى غمرة التأمل النفسى ، أو فى هزة الموسيقى ، أو فى نشوة الحب ، أو حين الاستغراق فى العبادة والمناجاة ...

هذه هي اللحظات التى تمرّ عليك حين تشرف على وادى (صوفر — حمانا) أو تجلس فى الشاغور ، أو تصعد إلى عين الصحة فى فالوغا ...

لست أريد الدعاية للبنان ، وما لبنان فى حاجة إلى دعاية ، وما فى لبنان سرير فى فندق ، أو غرفة في دار إلا وقد امتلأت حتى أننا لم نجد فى صوفر وقد وصلناها ليلا مكاناً نبيت فيه ، وكلما دخلنا فندقاً خرجنا منه بخفى صاحبنا حنين الاسكاف ... حتى قادنا المطاف إلى فندق لطيف منزّل ، قاعد فى منتصف الطريق بين صوفر وبحمدون ، ولم يكن بعده فندق نأوى إليه . فتعلقنا بصاحبه ، وتوسلنا إليه وأطمعناه حتى رضى أن يعد لنا مكاناً فى الردهة (الصالون) فقبلنا ، ووضعت لنا سُرُر صغار كسرر الجند وطلبة المدارس الداخلية جاء بها من بيته ، فحمدنا الله عليها

* * *

ولما دخلنا الأوتيل : عمامتان عاليتان على رأسى البهجتين : بهجة العراق وبهجة الشام ، وعقال نجدى فخم على هامة أمير من أمراء نجد ، ونحن الاثنان (المطربشان) الأستاذ عز الدين وأنا ، تعلقت بنا الأنظار ودارت حولنا الأبصار ، وحفّ بنا شباب يسلمون علينا . فقلنا : وعليكم السلام يا إخواننا ... فما راعنا إلا أنهم ضحكوا وضحك الحاضرون ...

فقلت لأحدهم : من فضلك قل لى ، لماذا تضحك ؟

هل تجد فى هيئتي ما يضحك ياسيدى ؟

فازداد الخبيث ضحكا ، فهممت به . فوثب الحاضرون وقالوا : يا للعجب ! أتضرب فتاة ؟

قلت : وافضيحتاه ! فتيات بسراويل (بنطالونات) وحلل (بذلات) ؟ وأين الشعر وأين اللحم ؟

(١) أنور العطار

قالوا : أنت فى لبنان

قلت : عفواً ، لقد حسبت أنى فى لبنان[١]

وفررنا ونحن مستحيون . نحاول ألا نعيدها كرّة أخرى

ولما خرجت فى الليل لحت فى طريق واحدة من هؤلاء النسوة تحيتنى ، فقلت لها : مساء الخير يامدموازيل

فقالت : مادموازيل إيه ياوقح ؟

قلت فى نفسى إنها متزوجة وقد ساءها أن دعوتها بالمدموازيل (الآنسة) وأسرعت فتداركت الخطأ وقلت : پردون مدام

قالت : مدام فى عينك قليل الأدب ، بأى حق تمزح مع أنا (فلان) المحامى

قلت : پردون ، پردون

ووليت هارباً ، فذهبت إلى صاحب الأوتيل فرجوته أن يعمل لنا طريقة للتفريق بين الرجل والمرأة ، فدهش منى ووجم لحظة ؛ ثم قدر أنى أمزح فانطلق ضاحكا

قلت : إنى لا أمزح ، ولكنى أقول الجِدّ وقصصت عليه القصة ...

قال : وماذا نعمل ؟

قلت : لوحات صغيرة مثلا من النحاس ، كالتى توضع على السيارات لبيان رقمها ، أو على الدراجات ... يكتب عليها رجل . امرأة . تعلق فى الصدر تحت الثدى الأيسر أو تتخذ حلية من الذهب أو الفضة عليها صورة ديك مثلا أو دجاجة ، أو ... أو شاة أو خروف ، أو شيء آخر من علامات التذكير والتأنيث ...

فراقه اقتراحى وقبله على أنه نكتة ، ولكنه لم يفكر بالعمل به لأنه لم يجد حاجة إلى هذا التفريق ما دام المذهب الجديد يقول بمساواة الجنسين ؟

* * *

ولم تطل الاقامة فى صوفر ، لأننا لم نجد الأمير شكيب فعدنا أدراجنا إلى دمشق

(دمشق) علي الطنطاوي

(١) عينت لبنان الشرقي العربي وعنوا لبنان الغربي (المستعرب)

الأدباء المحترفون

للأستاذ مصطفى جواد

الأدب فى كل أمة غذاء النفوس الصافية من كدر المادية المُبَرَّأة من أمراض الطمع والجشع ، السالمة من إسار المكايد والخدائع ؛ والأدباء فى كل شعب هم الطبقة الرفيعة فى المراتب البشرية ، المحلقة فى سماء الصفاء بأجنحة لطف أرق من الهواء . والمادية لاتؤمن بدين الأدب ولا عطف لها على البشرية ولا رحمة ، فالأدب نورانىّ والمادة بهيمية ترجع بالانسان إلى عصور كان يتنازع فيها الوحوش فرائسها ، ويعد الشبع والرى من الدنيا نفائسها؛ وكلما رق العقل فى الصناعات انخفضت العاطفة واستبدت المادية واستحكمت الوحشية ، فلولا الأدباء بين الناس كالنجوم الزهر[١] فى السماء الدنيا لبدا ليل المادية أشد ظلاماً وأهول منظراً . ولعله سيأتى زمان يتخفى فيه الأدباء كما كان الأنبياء يتستّرون من الناس في أول الاستنباء ، ورأس المحنة وأيام الدعوة ، خشية الاستهزاء والازراء والتعذيب والتقتيل ، وإذن لايعصم الأدباء يوم ذاك من ضرية المادية الأشبه جمهورية أفلاطون وإلا مثل المدينة الفاضلة التى أفكر فيها فيلسوف فاراب . أما مافعله الشيوعيون لأدباء الشيوع فى روسيا منْ قصرهم فى قريةٍ نزهةٍ وامدادهم بضرورى المادة ليستهتروا بالاستشاعة ويدعوا إلى التشارك فهو أخلق بالأدب المبتذل والشعور المنتحل والعواطف المعطوفة والنفوس المأسورة والانفعالات المكبوتة ، فما أغنى الشيوعيين عما فعلوا وما كان أحرى الأدباء بالإباء على هذا الازدراء ! وكلما علت المادة امتاز الأدباء عن أهل المادة وعبدة الحيوانية ، فيعيشون منفردين معتزلين كالمتصوفة فى الربط الهادئة إلا من تسبيح وتحميد، وكالرهبان فى الأديار الواجمة إلا من تكفير وارتسام ، يزرعون فيحصدون ويغرسون فيجتنون ، لا تجارة تلهيهم ولا تكالب يقسيهم ولا انخداع يؤذيهم ، فهم حينذاك صفوة

(١) الزهر جمع أزهر وزهراء ولا يجوز أن يقال « النجوم الزهراء » لأنه لم ينطق به فصحاء الأمة ولا أثبتته قواعد لغتها ، وإن جاء فى الشعر فالعمة فهو من كبائر الضرائر

الصفوة ، وأيتام الانسانية وملائكة البشر ، يضيع أحدهم بين الناس كما يضيع الملك إذا هبط بين البشر ، بل هو أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ، فويل لأهل الأدب من شر قد اقترب .

الأدب عدوّ المادة ، والمادة غائلة الأدب . وأعني بالأدب في كل ما أسلفت من القول « مولدات العواطف ونتائج العقول من وصف حزن وأسباب حزنه ، ونعت فرح وأسباب فرحه ، مزخرفاً ببدائع الكون ، أو مطلياً ببهرجه وغلوائه ، ممهداً له بوصف الجمال وذكر القبح وتبيان حسن الخلق أو سوئه والتصريح بالمدح والقدح ، فيكون ذلك للأدب كالحلي للعروس أو كالحطب للنار » وحد هذا الأدب « حركة العواطف واشتغال العقل والتأسيس على الحقيقة والخيال » فهو — كما قدمنا — غذاء النفوس البشرية الراقية وحبيب الانسانية وربيب الحقيقة والامكان ؛ فالمحترف بحرفة المادة لايقدر على دخول جنة الأدب ؛ والأديب لايستطيع الخروج إلى جهنم المادة وما أعفه عن ذلك . فكيف يبلغ امرؤ أن يتردد بين الجنة والنار ويجمع بين السلم والحرب ؟! وإذا ما رأينا واحداً قد ألم بالبرزخ تنفح إليه نسمات جنة الأدب من أمام ، وتلفحه شرارات المادة من وراء ، فهو لا أديب ولا مادى بل صاحب اختيار في الاختبار ، ثم يصير إمّـا إلى الجنّـة وإمّـا إلى النار ، فلذلك ومن ذلك قل الأدباء المحترفون لجمع المادة واحتجان البيضاء والصفراء ؛ وإنما سميناهم أدباء على سبيل أدب القدماء ؛ وهم في رأينا « برزخيون » وصلهم الأدب كوصوله لمن قال « وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل » وماتوا وهم في عهد الاختبار والفتن والمحنة .

ومن الأدباء من يضطره الزمان إلى الاحتراف فيستدفع الحرفة ضنك الزمان ، ولو ترك ونفسه وأُنجي من ذل الحاجة ما لجأ إلى الحرفة ولا قاربها . ومن الأدباء المحترفين أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون الخبزأرزي ، نسبة إلى حرفته « خبز الأرز » فقد كان هذا أمّيـاً لا يتهجى ولا يكتب ، وكان يخبز الأرز بمربد البصرة في دكان له ، وينشد الناس أشعاراً مقصورة على الغزل ، والناس يزدحمون عليه ، ويطربون باستماع شعره ، ويتعجبون من حاله وأمره ؛ وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصري الشاعر المشهور — مع علو قدره عند البصريين — ينتاب دكانه ليسمع شعره ، وقد اعتنى به وجمع له ديواناً ؛ وذكره الثعالبي في اليتيمة ، والخطيب في تاريخ بغداد ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ، وابن خلكان في الوفيات . قال ياقوت : « وكان ممن يفضلون الذكور على الإناث ، فكان أحداث البصرة يلتفون حوله ، ويتنافسون بميله إليهم ، ويحفظون شعره لسهولته ورقته[1] » وقد نزل نصر هـذا بغداد وأقام بها دهراً طويلاً وقرئ عليه ديوانه فيهـا . حدّث الخطيب بسنده إلى أبي محمد عبد الله بن محمد الأكفاني البصري ، قال : خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر وأبي الحسين ابن لنكك وأبي عبدالله المنجم وأبي الحسن السماك[2] في بطالة عيـد ، وأنا يومئـذ صبي أصحبهم ، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبزأرزي وهو جالس يخبز على طابقه ، فجلست الجماعة عنده يهنئونه بالعيد ويتعرفون خبره ، وهو يوقد السعف تحت الطابق ، فزاد في الوقود فدخّـنهم ، فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان ؛ فقال نصر ابن أحمد لأبي الحسين بن لنكك : متى أراك يا أبا الحسين ؟ فقال له أبو الحسين : إذا اتسخت ثيابي ؛ وكانت ثيابه يومئذ جُـدّداً على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد ؛ فمشينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا إلى دار أبي أحمد بن المثنى ، فجلس أبو الحسين ابن لنكك وقال : يا أصحابنا ، إن نصراً لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ، ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا واستدعى دواة وكتب :

لنصر في فؤادى فرط حب	أنيف به على كل الصحاب
أتينـــاه فبخرنا بخوراً	من السعف المدخن للثياب
فقمت مبادراً وظننت نصراً	أراد بذاك طردى أو ذهابي
فقال : متى أراك أبا حسين	فقلت له : إذا اتسخت ثيابي

وأنفذ الأبيات إلى نصر فأملى جوابها فقرأناه فاذا هو قد أجاب :

منحت أبا الحسين صميم ودى	فداعبني بألفاظ عـــذاب
أتى وثيابه كقتير شيب	فعدن له كريعان الشباب
ظننتُ جلوسه عندي لعرس	فجئت له بتمسيك الثيـــاب
فقلت متى أراك أبا حسين	فجاوبني : إذا اتسخت ثيابي

(١) معجم الأدباء (٧ : ٢٠٨)

(٢) وردت في تاريخ الخطيب « السياك » والصواب ما في الوفيات وهو ما ذكرناه

فان كان التقرز فيه خير ... فلِمْ يكنى الوصى أبا تراب (١)

وحكى الخالديان الشهيران فى كتاب الهدايا والتحف أن الخبز أرزى نصر بن احمد هذا أهدى إلى ابن يزداد والى البصرة فصاً وكتب معه :

أهديتُ ما لو أن أضعافه ... مطرح عنـدك ما بانا
كمثل بلقيس التى لم يبن ... إهداؤها عند سليمانا
هذا امتحان لك إن ترضه ... بان لنا أنك ترضانا (٢)

قال ابن خلكان « وأخبار نصر ونوادره كثيرة وتوفى فى سنة سبع عشرة وثلثمائة . وتاريخ وفاته فيه نظر ، لأنه (٣) ذكر فى تاريخه أن احمد بن منصور النوشرى المذكور سمع منه سنة خمس وعشرين وثلاثمائة (٤) » قال الخطيب : « روى عنه مقطعات من شعره المعافى بن زكريا الجريرى وأحمد بن منصور النوشرى وأبو الحسن بن الجندي وأحمد بن محمد العباس الأخباري وغيرهم ؛ وذكر النوشرى أنه سمع منه ببغداد بباب خراسان فى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة (٥) » والصحيح أن وفاته كانت فى سنة ٣٢٧ كما ورد فى معجم الأدباء (٦) ، ومما أورده له ابن خلكان :

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما ... بأكرم من مولى تمشى إلى عبد ؟
أتى زائراً من غير وعد وقال لى : ... أجلك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الوصل بينى وبينه ... يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطوراً على تعضيض تفاحة الخد

* * *

ألم يكفنى مانالنى من هواكم ... إلى أن طفقتم بين لاهٍ وضاحكِ
شماتتكم بى فوق ما قد أصابنى ... ومابى دخول النار فى طوع مالكِ

* * *

كم أناس وفوا لنا حين غابوا ... وأناس جفوا وهم حضّارُ
عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا ... ثم مالوا وجاوروا ثم جاروا
لاتلمهم على التجنى فلو لم ... يتجنوا لم يحسن الاعتذارُ

* * *

بات الحبيب منادمي ... والسكر يصبغ وجنتيه
ثم اغتدى وقد ابتدا ... صنع الخمار بمقلتيه

وهبت له عينى الكرى ... وتعرضت نظراً إليه
شكراً لإحسان الزما ... ن كما يساعدنى عليه

* * *

كم أقاسى لديك قالاً وقيلا ... وعدات تترى ومطلاً طويلا ؟
جمعة تنقضى وشهر يُوَلّى ... وأمانيك بكرةً وأصيلا
إن يفتنى منك الجميل من الفضـ ... ـل تماطيتُ عنك صبراً جميلا
والهوى يستزيد حالاً فحالاً ... وكذا ينسلى قليلاً قليلاً
ويكَ لاتأمنَنْ صروف الليالى ... إنها تترك العزيز ذليلا
فكأنى بحسن وجهك قد صا ... ح به اللحية : الرحيلَ الرحيلا
فتبدلت حين بُدّلت بالنو ... ر ظلاماً وساء ذاك بديلا
فكأن لم تكن قضيباً رطيباً ... وكأن لم تكن كثيباً مهيلا
عندها يشمت الذى لم تصله ... ويكون الذى وصلتَ خليلا

* * *

رأيتُ الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى فيهما ... هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورّد فى الوجنتين ... وما راعنى من سواد الشعر
لكنتُ أظن الهلال الحبيبَ ... وكنتُ أظن الحبيبَ القمر
وذاك يغيبُ وذا حاضر ... وما من يغيبُ كما من حضر

ومما ذكره له ياقوت الحموىّ :

شاقنى الأهل لم تشقنى الديار ... والهوى صائر إلى حيث صاروا
جيرة فرقتهم غربة البيـ ... ـن وبين القلوب ذاك الجوارُ
كم أناس رعوا لنا حين غابوا ... ...

إلى آخر الأبيات المتقدّم ذكرها منقولة عن الوفيات

* * *

فلا تمنّ بتلفيق تكلّفهُ ... لصورةٍ حسنها الأصلى يكفيها
إن الدنانير لاتجلي وإن عتقت ... ولا تزاد على الحسن الذى فيها

وأورد له الخطيب :

بأبى أنتَ من مَلولٍ ألوف ... رُعْتنى بالأمان والتخويف
حار عقلى فى حكمك الجائر العد ... ل وفى خلقك الجليل اللطيف
أنتَ بالخصر والمؤزّر تحكى ... قوّة الشوق بالفؤاد الضعيف
ليس عن خبرة وصفتك لكن ... حركات دلّت على الموصوف
لك وجه كأنه البدر فى التمـ ... ـم عليه تطرّق من كسوف

وأغرب مافى حياة هذا الرجل المشهور بمزاولة اللذات وملابسة الشهوات وقوفه موقف الحكيم المتنصح والعفيف المتنطس فتسمع منه قوله :

(١) تاريخ الخطيب « ١٣ : ٢٩٨ — ٩ » ووفيات الأعيان « ٢ : ٢٨٢ » (٢) الوفيات « ٢ : ٢٨٤ » (٣) أى الخطيب كما سترى
(٤) الوفيات « ٢ : ٢٨٥ » (٥) تاريخ الخطيب « ١٣ : ٢٩٧ »
(٦) معجم الأدباء « ٧ : ٢٠٨ »

كم شهوة مستقرّة فرحاً قد انجلت عن حلول آفاتِ
وكم جهول تراه مشترياً سرور وقتٍ بغم أوقات
كم شهوات سلبن صاحبها ثوب الديانات والمروءات

وقد جمع جملة من الحكم وأشتاتاً من الأخلاق وركاماً من التجارب فى قوله :

لسان الفتى خنق الفتى حين يجهل وكل امرىء مابين فكيه مقتل
إذا مالسان المرء أكثر هذره فذاك لسان بالبلاء موكل [1]
وكم فاتحٍ أبواب شر لنفسه إذا لم يكن قُفل على فيه مُقفل
كذامن رمى يوماًشرارات لفظه تلقته نيران الجوابات تشعل
ومن لم يُقيّد لفظه متجمّلاً سيطلق فيه كل ماليسَ يجمل
ومن لم يكن فى فيه ماء صيانةٍ فمن وجهه غصن المهابة يذبلُ
فلم تحسبنّ الفضل فى الحلم وحده بل الجهل فى بعض الأحايين أفضل
ومن ينتصرْ ممن بغى فهو مابغى وشرّ المسيئين الذى هو أوّلُ
وقد أوجب الله القصاص بعدله ولله حكم فى العقوبات منزلُ
فان كان قولٌ قد أصابَ مقاتلاً فان جواب القول أدهى وأقتل
وقد قيل فى حفظ اللسان وخزنه مسائل من كل الفضائل أكملُ
ومن لم تقرّ به سلامةُ غيبهِ فقربانُهُ فى الوجه لايتقبّل
ومن يتخذ سوء التخلف عادةً فليس لديه فى عتاب مُعوّلُ
ومن كثرت منه الوقيعة طالباً بها عزّةً فهو المهين المذلّلُ
وعدلٌ مكافاة المسيء بفعله فماذا على من فى القضية يعدل
ولا فضل فى الحسنى إلى من يحبها بلى عند من يزكو لديه التفضل
ومن جعل التعريض محصول مزحه فذاك على المقتِ المصرّح يحصلُ
ومن أمِن الآفات عجباً برأيه أحاطت به الآفات من حيث يجهل
أعلمكم ماعلمتنى تجاربى وقد قال قبلى قائل متمثّل :
إذا قلت قولاً كنت رهن جوابه فحاذر جواب السوء إن كنت تعقل
إذا شئت أن تحيا سعيداً مسلماً فدبّر وميّز ماتقول وتفعل [2]

وذكر له الخطيب أبياتاً ثلاثة تدل على ارتباكه فى الهوى وهى :

ماجفانى من كان لى أنساً أزنت شوقاً بعض أسبابهْ
كمثل يعقوب بعد يوسف إذحنّ إلى شمّ بعض أثوابهْ
دخلتُ باب الهوى ولى بصرٌ وفى خروجى عميتُ عن بابهْ

« بغداد » مصطفى جواد

(١) ذكر له هذا البيت وآخر بيت فى القصيدة ياقوت الحموى فى معجم الأدباء

(٢) تاريخ الخطيب « ١٣ : ٢٩٧ — ٨ »

الفلسفة الشرقيــــة

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٢٤ —

الفلسفة الصينية

العصر المنهجى

لم يكد حكم أسرة « تشو » ينتهى حوالى القرن السابع قبل المسيح حتى هوت بلاد الصين فى أعمق أنواع الفوضى والاضطراب ، وظلت ترزح تحت نير هـذا التدهور السياسى والاقتصادى والأخلاقى نحو خمسة قرون . فلما ضيقت هذه الأزمة الاجتماعية الخناق وأحكمت الضغط ، كان من الطبيعى أن تنفجر العقول الجبارة بعد أن استاءت الضمائر النبيلة ؛ وكان من الطبيعى كذلك أن يحدث هذا الاستياء وذلك الانفجار آثاراً بارزة فى الحياة الاجتماعية عامة ، وفى الحياة العقلية بنوع خاص ، وهذا هو الذى كان ، إذ لم يكد ينتهى الثلث الأول من القرن السادس حتى كان كوكب تلك الشخصية البارزة الممتازة وهى شخصية « لاهو — تسيه » قد سطع فى سماء الصين سطوعاً أعقبه انفجار ينبوع عبقرية أخرى فاقت الأولى عمقاً وسمواً ، وتكاتفت وإياها على رفع الفلسفة الصينية إلى صفوف منتجات الأمم الراقية ، تلك هى عبقرية « كونفيشيوس »

عرف « كونفيشيوس » « لاهو — تسيه » ولكنه لم يكن معه على وفاق فى الآراء الفلسفية ، بل كان وإياه على طرفى نقيض فى أهم النظريات ، إذ لم يكد « كونفيشيوس » ينضج ويعلن مذهبه حتى لاحظ الناس أن بين المذهبين خلافاً جوهرياً فى القواعد الأساسية ؛ ولم يكن هذا الخلاف حول عقيدة دينية أو رأى نظرى ، وإنما كان فى الفلسفة العملية ، لأنه نشأ من سؤال هام دعت إليه الحالة الاجتماعية فى بلاد الصين ، وهو : « ما هى الوسيلة الناجعة لإنقاذ البلاد من هذا التدهور ؟ »

بينما كان « لاهو — تسيه » يرى أن التنسك والزهادة واحتقار الحياة العملية هى الوسيلة لهذا الانقاذ المفتقد ، كان

« كونفيشيوس » يعلن أن الوسيلة الوحيدة لهذه النجاة هي العناية الفائقة بتنظيم الحياة العملية على أساس الخير الأخلاقي الذي ينتهي حتماً إلى الصلاح الاجتماعي ، وصرح أن الاهتمام بالعمران المنظم والقضاء على الرذائل التي تنخر في بناء صرحه هما وحدهما الكفيلان بإعادة الرفهنية والهدوء إلى الدولة ؛ وقد كان من المفهوم بعد تأسيس هذا الخلاف أن يتسع البون بين هذين المذهبين في أكثر نظرياتهما الهامة ، وهذا هو الذي حدث بالفعل

غير أنه ينبغي لنا أن نشير إلى أن محاولة حل هذه المشكلة ليست من مستحدثات هذين الفيلسوفين ، وإنما هي محاولة قديمة ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ ؛ غاية ما هنالك أن ذلك الخلاف كان في الماضي نظرياً فحسب ، لأن البلاد لم تكن قد هوت بعد في هذا التدهور ، أما في هذا العصر فقد أضحت هذه المشكلة عملية يجب الاعتناء بها

الآن وبعد أن ألممنا إلى هذين الفيلسوفين هذه الالمامة العاجلة نريد أن نتناولهما في شيء من التفصيل بادئين بأولهما

***

لاهو — تسيه

حياته

ليست هذه الكلمة اسمه ولا اسم أسرته ، وإنما معناها : « الأستاذ القديم » أو « العالم القديم » أو « الحكيم القديم » ؛ أما اسمه الحقيقي ، فهو « لي — يانج » ، واسم أسرته « لي » وقد دعاه الناس بعد موته : « تان » ، وهو لقب مشرف كان الصينيون يطلقونه على الحكماء بعد موتهم

ولد هذا الحكيم في سنة ٦٠٤ قبل المسيح في قرية « كيو — جين » بمملكة « تشو » التي هي الآن في مقاطعة « أونان » وكل ما يعرفه التاريخ الصحيح عن حياته هو ما يحدثنا به « سي — ما — تسيان » أقدم مؤرخ صيني من أنه أمضى الأكثرية الغالبة من حياته في « تشو » . وفي أواخر حياته عين مديراً لدار المحفوظات الملكية ، ولكن أحداً لا يعرف ما هي الوظائف التي شغلها هذا الحكيم قبل هذه الادارة ولا كم سنة قضاها فيها ، وإنما روى لنا هذا المؤرخ أنه حينما تقدمت به السن اعتزل الخدمة في الحكومة ، وانسحب إلى وادي « هان — كو » حيث اعتزل الناس جميعاً وظل فيه عاكفاً على تأملاته الفلسفية أميناً لمبادئه الأخلاقية . وفي أثناء هذه العزلة جاءه « ين — سي » وهو أحد أخصاء تلاميذه الأوفياء وألح عليه قائلا : « من حيث إنك أردت أن تدفن نفسك في هذه العزلة الموحشة ، فأنا أتوسل إليك أن تؤلف كتاباً لتؤدبني به » فلم يسع هذا الحكيم بإزاء ذلك الرجاء الملح إلا أن يجيب تلميذه إلى سؤله ، فألف كتاب « تاو — تي — كينج » وعلى أثر فراغه من كتابته غادر ذلك الوادي الذي عرفه الناس فيه وانسحب إلى حيث لم يره بعد ذلك أحد

وقد حدثنا « سي — ما — تسيان » أيضاً أنه أعقب بعده ابناً يسمى « تسونج » صار بعد أبيه من عظماء الدولة ؛ وكان قائداً كبيراً من قواد جيوشها ، وأن مشاهير رجال المملكة الذين لعبوا أهم الأدوار السياسية والاجتماعية فيها كانوا من ذريته

أما الأساطير الشعبية فقد أحاطت هذا الحكيم بغابة كثيفة من الروايات والحوادث التي ثبتت الاستحالة الزمنية في بعضها ، وتحقق الاستبعاد في بعضها الآخر ، كما أنه قد غلبت الحقيقة على البعض الثالث . فمن هذه الأساطير ما يحدثنا عن تلك المقابلة الهامة التي حدثت في سنة ٥٢٥ قبل المسيح بين « لاهو — تسيه » و « كونفيشيوس » ومادار فيها من محاورات بين الحكيم الشيخ الهادئ الواثق بما يقول ، وبين العبقري الشاب المتحمس المفعم بالآمال العذبة في المستقبل المنير

تحدثنا هذه الأسطورة أن الشيخ أعلن في حديثه أن إصلاح الحياة الاجتماعية بوساطة النشاط العملي مستحيل ، وأنه لا يتيسر إلا بوساطة التنسك والزهادة والاعتزال ، وأنه لم يقل بهذا الرأي إلا بعد تجارب طويلة استغرقت سبعين سنة ، وأن « كونفيشيوس » حينما سمع من الحكيم الشيخ هذا الرأي ، لم يتردد في الحكم عليه بأنه خاطئ باطل ، وبأن نتيجته هي الخمول واليأس ؛ ثم سأله قائلا : « إذا كان واجب كل فرد من أفراد الدولة أن ينسحب في كهف من الكهوف ، فمن ذا الذي يعمر المدن ، ويفلح الأرض وينشئ الصناعات ، ويديم النوع البشري على سطح الأرض ؟ وإذا كان هذا الاعتزال من واجب الحكماء فحسب ، فمن ذا الذي سيربي الانسان ويؤدبه ويصون الفضيلة والأخلاق ؟ »

وتحدثنا هذه الأسطورة أيضاً أن المقابلة بين هذين الحكيمين كانت من أجل هذا الخلاف فاترة ، وأن سوء التفاهم قد ساد بينهما على أثر هذه المحاورة . ويعلق أحد « المتصينين » على هذا النبأ بقوله : « ما دام قد ثبت تاريخياً أن « لاهو — تسيه » كان

مديراً لدار المخطوطات فى مدينة « لو » فى نفس التاريخ الذي زار فيه « كونفيشيوس » هذه العاصمة ، بل إنه قد ثبت أنه زار دار المخطوطات نفسها وطلب الاطلاع على بعض ما فيها من وثائق قديمة كانت دراسته فى حاجة إليها ، أفليست هذه الظروف كلها تدعونا إلى تصديق هذه الأسطورة لا سيا إذا كان ما حدثتنا عنه من خلاف صحيحاً صحة علمية ؟ »

ومن هذه الأساطير أيضاً ما يروى لنا أن « لاهو — تسيه » بعد أن اعتزل الخدمة ارتحل إلى بلاد الهند وأخذ ينشر تعاليمه هناك ، وقد تلاقى مع « بوذا » فتتلمذ هذا الأخير عليه ، وتلقى عنه تلك المعارف الصينية القيمة التى كانت فيا بعد أساساً لمذهبه

ويستبعد الأستاذ « زانكير » صحة هذه الأسطورة ، لأن « بوذا » لم يولد إلا بعد هذا الحكيم بمائة وخمسة وعشرين عاما ؛ وإذا صح سفره إلى الهند ، فلا يمكن أن يصح لقاؤه مع شخص بقى على مولده خمس وأربعون سنة ، فضلا عن نشأته واستعداده لتلقى العلم ؛ فإذا أضفنا إلى هذا أن حكيمنا لم يعتزل الخدمة إلا بعد بلوغه سن الثمانين استطعنا فى سهولة أن نجزم باستبعاد صحة هذه الأسطورة

هناك أسطورة ثالثة تنبئنا بأن هذا الحكيم قد كتب ألف كتاب ، منها تسعمائة وثلاثون فى شرح فن الحياة العملية والأخلاق والسلوك والمعاملات الإنسانية ، والسبعون كتاباً الباقية فى السحر ، وعلى الأخص فى صنع التمائم التى يجلب حملها السعادة للأحياء

لا ريب أن هذه الأسطورة لا تقل عن سابقتها بطلانا ، لأن هذا الحكيم لم يثبت عنه أنه كتب غير كتاب « تاو — تى — كينج » الذى أشرنا إليه آنفا ، والذى خصصه لتسجيل مذهبه الفلسفى . بل إن النقاد المحدثين يجزمون بأن هذا الكتاب على حالته الراهنة ليس من تأليف « لاهو — تسيه » وإنما هو مجموعة من آرائه وحكمه مضافاً إليها آراء وحكم لبعض القدماء الذين سبقوا عصر هذا الحكيم ، ويرجحون أن هذا الكتاب قد كتب بعدة أقلام مختلفة ، بعضها لتلاميذ هذا الحكيم ، والآخر لبعض المتمذهبين بمذهبه

مذهبه

اختلف الباحثون المحدثون فى المذهب النظرى لهذا الحكيم اختلافات شتى جعلت اليقين عسيراً على كل من يحاول الحكم على هذه الفلسفة « اللاهو — تسية » والسبب فى وقوع كل هذه الاختلافات بين العلماء هو صعوبة معنى كلمة « تاو » التى اتخذها هذا الحكيم عنواناً لكتابه ؛ ولكن ليس معنى هذا أن تلك الكلمة كانت فى الأصل غامضة أو عويصة ؟ كلا ، فقدمرت بنا فى عصر ما قبل التاريخ وعرفنا أن معناها إما « الصراط السوي » وإما « واجب الانسان » أو « الفضيلة العليا » أو « الغاية المثلى » ولكن الصعوبة حدثت من المعنى الجديد الذي أسبغه حكيمنا على هذه الكلمة حين اختارها عنواناً لكتابه الفلسفى ولم يصرح فى تحديده بكلمة قاطعة ؛ بل ترك الباحثين يستنتجون هذا المعنى الحديث من المشاكل التى درست فى هذا الكتاب ؛ فلما عالج العلماء الأوربيون هذا البحث ذهب كل منهم مذهباً يناقض مذهب الآخر ؛ بل إن بعضهم ألقى سلاحه بإزاء هذا العنوان وانسحب من الميدان ؛ ومن هذا القسم الأخير المسيو « دينيس سورا » الذى أعلن أن هذه الكلمة غير مفهومة . وإذاً فالمذهب النظرى لهذا الحكيم غير مفهوم . أما الأستاذ « زانكير » فقد أفاض فى شرح هذه الكلمة وتعقب مراميها المختلفة تعقباً يروى غلة الباحث الشغوف . وخلاصة ما قاله في هذا الشأن أن هذه الكلمة تحمل من المعاني ما لا يمكن أن يؤدى بلفظة أوربية . ولهذا يكون خاطئاً كل من حاول ترجمتها بكلمة واحدة من لغاتنا الحديثة ، بل الواجب ترجمتها بجملة طويلة أو بعدة كلمات ، فمن معانيها مثلا : الروح الأزلى الأبدى المشتمل على جميع القوى الحيوية ، والكائن النقى ، والجوهر الأساسى لكل موجود ، والحياة الحقة لكل كائن ، والمدبر العام للكون كله ، وفوق ذلك كله فهذه الكلمة قد احتفظت بمعانيها القديمة التى كانت لها فى عصر ما قبل التاريخ ، وهى : الصراط السوى ، والفضيلة ، والواجب ، والغاية ، والتطور ، ولكن ينبغى أن نعلم أن هذا التطور ليس إلا أثراً ظاهراً لهذه القوة ، أما هى نفسها فثابتة لا تتغير

وأكثر من هذا أن « لاهو — تسيه » يصرح بأن « تاو » هو الـ « فى ذاته » ، بل هو الكائن الغير القابل لِمُدْرَكيّة العقل البشرى ، لأن أي كائن متى حصره التفكير الانسانى ووضع له اسماً مُحَدَّداً ، فقد فَقَدَ نقاءه ولا نهائيته

ولا شك أن من يلقى نظرة عاجلة على المدرسة الأفلاطونية الحديثة ويستعرض ما قاله « أفلوطين » عن الاله يجد الشبه عظيماً بينه وبين هذا الرأى

« يتبع »

محمد غلاب

الفروسة والتربيـــة

للسيد جريس القسوس

كلمة تمهيدية

يعاني العالم مشقة كبيرة في التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ؛ وما عرف التاريخ منذ بدئه حرباً أشـد هولاً من هذا النزاع بين الفرد والمجموع برغم محاولة الفلاسفة وعلماء الاجتماع ورسل الأديان التوفيق بينهما . إذ تؤثر الجماعة المحافظة ، وتكره كلّ ظاهرة يرجى من ورائها انتقاض كيانها وهدم صرح نظمها وتقاليدها . بيد أنه قد ينهض أحياناً فردٌ يشهر عليها حرباً عواناً فيصطدمان ، فإن كتب له الخلود انتصر عليها ، وإلا طمس أثره وراح ضحية شذوذه

ولقد برهن التاريخ أن الحق في أغلب الأحيان للقوة ، لذا ترى أن عدد أسماء العظماء في التاريخ قليل جداً إذا ما قيس بعدد من خضع لأحكام الجماعة وسلطتها ، ومشى بموجب تقاليدها ونظمها . والعظيم بحق هو من قاضل الجماعة وغلبها ، وتمكن من أن يسيرها حسبما يراه صالحاً

أما في العصور الوسطى فقد كانت للجماعة السلطة التامة على الفرد ، دينياً وعلمياً واجتماعياً . فهنالك الكنيسة تستأثر بالسلطة الدينية ، وترى أن ما تسنه للفرد على الأرض من شرائع وقوانين يُسنّ في السماء ، وتتسلح ضده بمحاكم التفتيش والقطع والتأديب ، وتتذرع بكل سلطة زمنية فوق الدينية لتق حقها الذي هو حق الجماعة ، وتحارب الزنادقة وهم — في رأيها — من شذّوا عن مبادئها وخالفوا أحكامها . ويلحق الكنيسة نظام الرهبنة Monasticism ، وقد حل هذا النظام محل معاهد التربية في نشره الفضيلة ، وتعزيزه ناحية من نواحي الرسالة النصرانية . وهنالك الطريقة الزهدية Mysticism التي دعت إلى الزهد وعيشة التقشف والاتصال بروح الله في الحياة الدنيا ، فسيطرت بذلك على فكر الفرد وحياته الروحية وقيدتهما مدة ليست قصيرة

أما الطريقة المدرسية Scholasticism فقد هيمنت على عقل الفرد ، ووضعت له قواعد وحدوداً ثابتة ، ليس له أن يتعداها أو يشذ عنها في حياته الفكرية . أما الاجتماع والسياسة فمهدها الفروسة Chivalry وفعله — كما سترى — لم يختلف كثيراً عن فعل غيره من الأنظمة والمعاهد التي ذكرناها

كل هذه الأنظمة تعاونت وتضافرت على صيانة الحضارة في العصور الوسطى وخاصة المظلمة منها ، لكنها كانت تتوخى دائماً إعلاء كلمة الجماعة وإخفات صوت الفرد ، فحالت بذلك دون تقدم الحضارة تقدماً حثيثاً ، إذ كلما حاولت سفينة الحضارة الاقلاع ، ألقت الجماعة مرساتها لتوقفها وتميقها عن السير المطرد . والصراع بين الفرد والمجموع قائم على هـذا الأساس . فالفرد يبتغي رفع المرساة وتحطيمها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، بينا الجماعة تريد خلاف ذلك . ومهمة التربية والتعليم في كل عصر ومكان — كما بينا — التوفيق بينهما ، وإصلاحهما إصلاحاً يكفل معه تقـدم الحضارة . وسنتناول في هـذا المقال نظام الفروسة ونرى كيف كان مرساة للنظم والمبادئ الاجتماعية والأخلاقية ، وما كان فضله على التربية خصوصاً

الفروسة ، طبيعتها ، نشأتها

الفروسة في أكمل وضع لها : نظام أو معهد اجتماعي لا ديني (من حيث نشأته) ، ذو مبادئ ، ومثل اجتماعية وأخلاقية عالية قائمة على قواعد وتقاليد رسمية راسخة . ومن شروط الانتظام في هـذا السلك أن يكون المرء حر المولد ، شريف المنبت ، (أو يكون قد نال النبل من أحد الملوك) ، يملك ضيعة ، ويستطيع أن يعول نفراً من الضعفاء . ولم تمنح العضوية إلا لمن زاد عمره على الحادية والعشرين ، اللهم إلا في آخر عهد هـذا النظام ، فقد كانت تمنح لأبناء العائلات المالكة الذين لم يبلغوا ، أو تجاوزوا السن القانونية لنيل هذه العضوية . وكان لا بد لكل طالب من أن يقضي مدة معينة يجوز في خلالها بعض الامتحانات والمراسيم ، ويتقن العلوم والفنون ، ويتحلى بالسجايا التي يقتضيها شرف هذه المهنة . وقد اقتصرت العائلات النبيلة على هذا النوع من التربية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ، خصوصاً مع عدم توفر العلوم فيه كما سترى

كانت مبادئ العروسة ومثلها العليا خليطاً مما ورثته عن النصرانية والحضارة الرومانية ، واحتفظت به من عادات قبائل البربر الجرمانية وطباعها . وكان للفروسة صبغة عسكرية فى القرون التى تلت سقوط الدولة الرومانيـة حتى القرن التاسع والعاشر للميلاد ، فكل ملك أو بارون أو لورد أو نبيل ، سافر أو ناضل على ظهر جواد ، وكان له أتباع وحشم عُدّ فارساً : فالفروسة والإقطاع هما في الحقيقة توأمان من حيث نشأتهما وشيوعهما . ولقد ازدهر نظام الفروسة واستكمل نموه منذ الغزوات الصليبية الأولى فى القرن الحادى عشر للميلاد ، وما فتئ ينمو ويشتهر حتى أوائل القرن السادس عشر . فكان المعهد التربوى الوحيد خلال تلك القرون للعائلات النبيلة والمالكة ، حتى جاء عصر النهضة Renaissance بمدارسه العالية ، فخلت هذه محل الفروسة وغيرها من المعاهد والطرائق التى سبق الإيعاء إليها

مبادئها وصفاتها

لعهد ليس بالبعيد كانت هناك مبادئ وصفات تؤهل الفرد لاكتساب لقب « جنتلمان Gentleman » ، تلك التى إذا ما حازها عُدّ فارساً . من هذه المبادئ والسجايا الشجاعة والأنفة واحترام النفس والاتصاف بالشرف واللطف والرقة فى المعاملة ونكران الذات وطلب الشهرة عن طريق الحرب ، وغير هذه من الصفات الخشنة كالشراسة والقسوة والتعصب إلى حد الجنون ، والتبهرج والإسراف والرغبة فى الحياة العسكرية العنيفة الجافة ، والإيمان القويم بالله . وكما أن للرهبنة فضلاً على الناحية الدينية من علمى التربية والأخلاق ، فللفروسة فضل على الناحية اللادينية منها ، إذ رفعت من شأن فكرة الخدمة Service والرأفة لدى قوم غلاظ الطباع ، وذلك بأن فرضت عليهم شروطاً وقواعد لابد لهم من مراعاتها مدة انضوائهم تحت لواء الفروسة . ولو أمعنا النظر قليلاً فى هذه الفكرة لألفينا أنه حيثما وُجدت الطاعة والخدمة ، وجد معها الاستبداد والقسوة . فإذا كان تشجيع الطاعة والخدمة من حسنات الفروسة ، فتعزيز الاستبداد والإذلال هو من سيئاتها

ولم تكن الفروسة فى الواقع إلا خادمة للرسالة النصرانية ، فقد ولدت فى معهد الكنيسة ، ثم نشأت وانتشرت تبشر بمبادئها ، وتنشر النصرانية بين برابرة الجرمان . وحينما تحولت الكنيسة إلى السلطة الزمنية تستنجدها وتستفزعها لمهاجمة المسلمين فى عقر دارهم ، كانت الفروسة أول من لبى نداءها . وقد كان لاتصال الفروسة بالكنيسة أثر ملموس فى خلق الفارس ، فكان لابد له ، إذا نشد الكمال ، من أن يتوخى مبدأ الاعتدال فى حياته وأن يستسلم لأسياده وينقاد إليهم إنقياد الأعمى ، ويتضع لمن هم دونه رتبة ، ويشفق على الضعفاء والفقراء ويحسن إليهم ، وأخيراً أن يجل الجنس اللطيف كل الإجلال

ويجازي من نكث هذه الشروط بأن يطلب للبراز مع غيره مبارزة قد تؤول إلى هلاكه . بذا وبغيره من الوسائل السلبية والإيجابية ، وبالمزاولة الطويلة ثبت نظام الفروسة ورسخت قواعده ومبادئه رسوخاً متيناً ، وانتشر انتشاراً عمّ مختلف طبقات المجتمع البشرى فى أوروبا حقبة طويلة من الزمن .

ومن الصفات التي لم يكن يقتضي اكتسابها تعلماً خاصاً ومجهوداً كبيراً الشجاعة والإقدام ؛ بيد أن ما يرافقهما من التمرن على حمل السلاح واستعماله ، والتفنن فى ركوب الخيل ، أمور يتلقاها الفرد فى سلك الفروسة . وما يصدق على الشجاعة يصدق على الشهامة Gallantry واحترام السيدات ، فإن ذلك لم يكن يقتضي تعلماً رسمياً . على أنه لابد لاكتساب كل سجية مطبوعة بطابع الفروسة الخاص من وقت طويل وعناء كبير لدقتها وتعقدها . وفيما يلى نبذة للمؤرخ « كورنش » تبين باختصار مبادئ الفروسة وأثرها فى حياة الفرد والمجموع يقول :

« لقد علمت الفروسة العالم واجب الخدمة الطوعية الشريفة ورفعت من شأن الشجاعة ، والخضوع لأحكام السلطة ، ووقفت قوتها العسكرية على خدمة الدين ، وشجعت السخاء والإحسان والإيمان القويم ونكران الذات والشهامة ؛ وفوق كل هذا إجلال السيدات . ومع أن للفروسة فضلا كبيراً على علمى التربية والأخلاق فتاليها شتى ، لأنها كانت تشجع بعض الرذائل كالغرور وحب القتال وازدراء الرعاع والتهتك والخلاعة . ولا مراء فى أن هذا المعهد — على ماله من مناقب ومثالب — كان ملائما لروح العصر والبيئة اللذين نشأت فيهما . »

نظامها ومنهاجها

للتربية في هذا النظام ثلاث مراحل ، تبتدئ أولاها من السنة السابعة وتنتهي بالرابعة عشرة ، ويسمى الفتى في هـذا العهد بالوصيف Page ؛ وتبتدئ المرحلة الثانية من السنة الخامسة عشرة وتنتهي بالحادية والعشرين ، ويطلق على الفتى في هذه السن لقب «الرفيق» Squire ؛ أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتبتدئ من السنة الحادية والعشرين ، وفيها يعرف الفتى بالفارس Knight

كان يجرى التعليم والتمرين في معهد ببلاط أحـد الملوك Court School ، أو قلعة أحد النبلاء . ففي قلاع النبلاء يجرى التعليم الخاص بالطبقة التي هي دون النبلاء . أما النبلاء فيبعثون أولادهم إلى بلاط الملك حيث يخدمون في حاشيته ؛ وفي كثير من الأحيان يمارس أبناء الملوك الخدمة في قصور آبائهم كسائر أبناء النبلاء ، ولم يجر التعليم في بيوت العامة لندرة وسائله ، وقلة معدات التمرين فيه ؛ لهذا كانت دور النبلاء وقلاعهم وقصور الملوك مزدحمة بالفتيان والفتيات طيلة سني التعليم والتمرين . ولقد كان للفتيات كما للفتيان حق ونصيب من التربية في هذا المعهد ، فقد كان في عصر الإقطاع شريعة (١) تقضي بأن يرث النبيل ضياع آباء الفتيان والفتيات الذين هم في خدمة النبيل ، وتخوله حق السلطة على أولئك الفتيان والفتيات والتصرف بهم كما يشاء قبل أن يدركوا سن الحادية والعشرين . فأدى هذا الحق ، أعنى التحكم في أولاد الميت وبناته إلى تزويجهم حسبما يراه النبيل صالحاً ، بهذا كان التزاوج بين الفتيان والفتيات شائعاً جـداً في قلاع النبلاء ، وخصوصاً في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد . وطبيعي أن يقوم النبيل بكل ما تتطلبه معيشة هؤلاء الفتيان والفتيات ماداموا قاصرين وعاجزين عن القيام بذلك من تلقاء أنفسهم

أما الفتيات فقد كُنَّ يتلقين العلوم والفنون المنزلية من خياطة ونسج وموسيقى وغناء ثم الفرنسية وبعض اللاتينية . وكانت تعلم هذه العلوم في مدارس الأديرة ؛ من هذه في انكلترا دير « دارتفورد » Dartford في كنت ، وقد اختص ببنات العائلة المالكة ، ودير « كارو » Carow قرب نوروش وكان خاصاً ببنات الطبقة النبيلة ، ومدرسة دير سان ماري في ونشستر Winchester وغيرها . وبعد أن تتم الفتاة تحصيلها في هـذه المدارس تعود إلى قلعة النبيل المتولى أمرها ، حيث تكتسب صفات الفروسة ، وتجالس الفتيان في « الصالون » حتى تصل إلى اختيار زوجها منهم . وغالباً مادفعت هذه العادة الكثيرين إلى أن يبعثوا بناتهم وأبناءهم إلى هذه القلاع ، ليلتحقوا في خدمة النبيل ظاهراً ، وينشدوا التزوج باطناً . فالتزوج هو في الحقيقة غاية ما كانت ترمي إليه تربية الفروسة في هذه المرحلة ، لأن من كان خليقاً بالزواج عن هـذه الطريق كان جديراً بنيل شرف الفروسة

نعود الآن إلى الوصيف لنرى كيف يتدرج في مراحل هذه التربيـة حتى يصبح فارساً . ينشأ الوصيف والوصيفة مع نساء حاشية النبيل حتى السنة السابعة ، وفي خلال هذه المدة يكون الوصيف قد ألف ركوب الخيـل ، وتعلم هو والوصيفة القراءة والكتابة وبعض مبادىء العلوم البسيطة التي تقتضيها الخدمة المنزلية . وكلما تقدم الوصيف في السن ، تعقدت العلوم التي يتلقاها وصعبت . فحينما يصل سن السابعة يشرع في تعلم فنون الصيد واللعب بالسيف والترس ورمى القرص والرمح . وليست هذه الفنون سهلة المنال كما يظهر ؛ ففن الصيد مثلا يتطلب إلماماً بقوانين الغاب Forest Laws ، وهو ينقسم إلى قسمين : —

(١) صيد الغزال وما كان من فصيلته وعلى شاكلته Fenery

(٢) والبيزرة ؛ وهذا القسم ضرب معقـد من ضروب الصيد يقتضي معرفة بأنواع الطيور وكيفية إقتنائها وتدريبها على الصيد . وعدا هـذا يتعلم الوصيف أصول المصارعة والملاكمة والجرى وركوب الخيل واللعب بالسيف والرمح ومبارزة الدببة والجواميس . كان الوصيف مشغوفاً بهذه الفنون العملية كل الشغف ، لأنها كانت ذات أثر مباشر في حياته ؛ لهذا لم يُعن كثيراً بتعلم القراءة والكتابة والموسيقى . بيد أن إعراضه عن هذه العلوم النظرية إلى غيرها لا يعني عدم اهتمام مدارس الفروسة بها ، فقد كان للوصيف فرصة سانحة ليتعلم فيها العزف على بعض الآلات الموسيقية والتدرب على الغناء . وقد تخرج في هـذا المعهد المنشدون الكثيرون Minstrels الذين كانوا يرحلون من بلد إلى آخر ، ويحلون حيث غواة الموسيقى وعشاق الفن . ولقد عنيت

(١) راجع دائرة معارف التربية لمونرو تحت مادة Ohivalric Education

بعض العائلات المتدينة بتعليم الموسيقى والنشيد الديني ، فكان منها مدارس خاصة ، عدا نظام الفروسة

كان الوصيف يصرف أويقات فراغه في الخدمة المنزلية ، ومشتركاً في حياة النبيل العائلية ؛ فتراه يرافق سيدته « زوجة النبيل » أنى ذهبت ، ويقوم بخدمتها المنزلية بكل طاعة وإذعان . ومن الخدمات البسيطة التي اختص بها تجفيف عرق سيدته ، وذب الذباب عنها ساعة نومها بمروحة لا تكاد تفارق يده طيلة أشهر القيظ

وما يكاد الوصيف يشب ويصبح « رفيقاً » Squire حتى يشرع في تعلم فنون جديدة كفن المناداة Heraldy ، وهو فن معقد يقتضي إتقانه عناية وجهوداً كبيرين ، و « تقطيع اللحم » وهذا أيضاً فن قائم بذاته ، وقد أهمل وتنوسي على مرور الزمن . وأهم واجباته المنزلية في هذا العهد تحضير الموائد، فهو الذي يقطع اللحم — كما قلنا — ويتناول صحون الأطعمة وكؤوس الخمر من الوصفاء ، ويوزعها على الضيوف . وعلى الرفيق أن يُعدّ فراش النبيل ، وأن يتولى سياسة حصانه ، وأن يقوم بتعبئة البنادق وصقلها وتنظيفها . وعليه أن يرافق سيده في سفراته الطويلة ، ويتولى رعايته وحراسته في الليل ، فلا يغمض له جفن مادام سيده نائماً . وعلى « الرفيق » أن يلقن الوصيف كل ما تقتضيه الخدمة المنزلية ، وتتطلبه الحياة العملية كركوب الخيل ، وتعلم اللغات الألمانية والانكليزية وبعض اللاتينية (أما الوصيفات فالفرنسية) ، والعزف على الناي والقانون ، والرقص والغناء ولعبة الشطرنج ، ومبادئ الفروسة وقوانينها . ومن الكتب التي كانوا يستمدونها في تعلم مبادئ الفروسة وصفاتها في انكلترا خصوصاً كتاب « سلوك الغلام على المائدة » لغروستست « Bishop Grosseteste's Stans Puer ad Mensam »

وعلى « الرفيق » أن يرافق زوجة النبيل في روحاتها وجيئاتها وأن يلاعبها الشطرنج ويراقصها ويعزف ويغني لها . أما علاقته معها فعفيفة غاية العفة ، بريئة غاية البراءة ، قلما تؤدي إلى الفعل المنكر ، لأنه بمرافقته إياها وإذعانه لها يكتسب صفة من أسمى صفات الفروسة وأنبلها ، ألا وهي إجلال الجنس اللطيف وإيناسه . وكان يتجلى هذا الشعور في المرحلة الأخيرة من مراحل الفروسة وخصوصاً في أوان المبارزة . فعندما تعقد حفلات المبارزة تهرع إليها أجمل الفتيات وأنبلهن ؛ وقد تستغرق الحفلة الواحدة ثلاثة أيام أو أكثر . وللمبارز إذا انتصر على خصمه أن يجرده من سلاحه وجواده ، وأن يمر بالفتيات ، فيتعهدهن بنظره حتى يقع بصره على إحداهن ، فيختارها لتسمى ملكة الحب والجمال « Queen of Love and Beauty » فتتوج بإكليل وتشرف على بقية الحفلات بينما السيدات يحطن بها من كل جانب ، راغبات في التقرّب منها تشرفاً

وللكنيسة أثرٌ ملموس في حياة الفارس ، فتراها إذا ما قارب السنة الحادية والعشرين من عمره ، سيطرتْ عليه ، ووجهت حياته السلمية والحربية إلى ما فيه خيرها ونفعها . فتعرض له بعض المراسيم والامتحانات الدينية المقدّسة التي لا بد له من اجتيازها . أهم هذه ما يجري في الحفلة النهائية التي يصبح فيها « الرفيق » فارساً ؛ وتستغرق هذه الحفلة أحياناً عدة أسابيع ، فيصرف بضعة أيام في الصوم وليلة في إحدى الكنائس القديمة المظلمة ، مسترسلا في التأمل والتفكير ، ثم يستحمّ ، ويعترف عند أحد الكهنة ، وبعد ذلك تعقد الحفلة النهائية ، ويترأسها أحد الكهنة ، وفيها يخلع عليه الكاهن ثوباً أبيض رمز الطهر والنقاوة ، وآخر أحمر إشارة إلى ما سيسفكه من الدم في الدفاع عن مبدئه ودينه ، وسُتْرةً سوداء قصيرة تذكرة بشبح الموت الذي سيلقاه دون خوف أو وجل ؛ ثم يصغي إلى عظة بليغة يلقيها الكاهن عن حياة الفروسة . وفي النهاية يقسم الفارس يمين الفروسة الرسمي وخلاصته : « أن يذود عن الكنيسة ، ويكافح الأشرار ، ويحترم رجال الدين ، ويجل الجنس اللطيف ، ويصون الضعفاء ، ويحسن إلى الفقراء ، وألا يحجم عن سفك دمه في الدفاع عن بني دينه وجنسه » . ثم ينادَى فارساً باسم الله ، والقديس جورج ، والقديس ميخائيل ، ويناوَل السيف والمهماز ويُلطم على وجهه لطمة خفيفة رمزاً إلى آخر إساءة يستطيع أن يصفح عنها ، وإلى حياة العنف والجهاد التي سيحياها

ويقضي الفارس السنين العشر الأولى التي تسبق السنّ القانونية للالتحاق بالفروسة في الدرس المتواصل ، والاستعداد الدائم لهذه الحفلة التي تعد أكبر حادث في حياته . ولقد ورد في

رسالة كتبها جيلس دى روم « Giles de Romme » لتلميذه الملك هنرى دى جاند « Henry de Gand or Ganchy » فى صغره بعض الموضوعات والدروس التي يتعلمها « الرفيق » والصفات التي لا مناص له من اكتسابها لـكي يكون فارساً ، منها الإحسان والشجاعة والاعتدال ؛ والقسم الأخير من الجزء الثانى من هذه الرسالة يتناول ذكر واجبات « الرفيق » نحو الـكنيسة . أما الفصل السابع فيقتصر على الموضوعات العلمية كتعلم اللاتينية والالمام بالفلسفة ، وعلم البيان Rhetoric وهذا خاص بأبناء الأمراء والملوك ، وعلم الحساب الذى لا بد منه لإتقان الموسيقى ، وتعلم الهندسة التي لا غنى لطالب علم الفلك عنها . كل هذه العلوم خاصة بأبناء الطبقة الوسطى Gentry . وهناك عدا الفنون السبعة المعروفة فنون وعلوم أخرى لا بد للطالب من تعلمها وهى :

(١) العلوم الطبيعية لأنها تتعلق بطبيعة الأشياء

(٢) علم ما فوق الطبيعة لأنه يبحث عن الله وملائكته

(٣) علم اللاهوت

(٤) علم الأخلاق لأنه يعلم الفرد ضبط نفسه

(٥) علم السياسة لأنه يعلم إدارة المدن والممالك

وشعار الفارس فى حياته — كما رأيت — الدين والحب والحرب ، فهو الخادم الأمين المطيع للكنيسة ولسيدته التي تمثل الجنس اللطيف كله ، ولسيده الذى يمثل الملوك والنبلاء .

وترى مما تقدم أن الفروسية لعبت دوراً باهراً فى تاريخ التربية خصوصاً والحياة الاجتماعية عموماً ، وأن مناهجها لا يقل عن مناهج الجامعات والمدارس الابتدائية Grammer Scools فى القرن الثالث عشر للميلاد خصوصاً ؛ وأثره فى أدب الإفرنج لا يقل عن أثره فى التربية والاجتماع والسياسة . فقد أصبح مستق قياساً لآدابهم ، وعلى الفروسية تدور بعض القصص الرائعة والقصائد الحماسية والأناشيد الشائقة ؛ وحسبنا في هذا المقام أن نذكر أن الرجوع إلى العصور الوسطى عموماً والفروسية خصوصاً لاختيار الموضوعات الأدبية كان من أكبر خواص ومظاهر العصر الابتداعى Romantic Age فى الأدب الانكليزى فى القرن التاسع عشر . وأثر هذا ظاهر فى بعض قصص سر ولتر سكوت وخاصة « إيفنهو » Ivanhoe « وتلسمان » Talisman « والأبوت » The Abbot

وفى إحدى قصص وليم تاكرى William Thackery الرائعة أعنى « هنري إزموند » Henry Esmond وفى غير ذلك العصر من عصور الأدب الانكليزى كعصر الياصابات مثلا وخصوصاً فى بعض ملاهى شكسبير مثل « جعجعة ولا طحن » Much Ado About No thing و « رجلا فيرونا » Two Gentlemen of Verona « وكما تشاء » As you Like it

والمقام يضيق عن التوسع في هذه الناحية ، فعسى أن يقوم من بين الأدباء من يجد في نفسه الـكفاية للبحث فى علاقة الفروسية بكل من الأدب والسياسة وفضلها وتأثيرها عليهما .

جبرايل القرص
الجامعة الأمريكية : بيروت

* * *

مصادر هذه الرسالة

1. Monroe's Hist. of Education
2. Monroe's Cyclopedia of Education: (Chivalric edncation)
3. Cyclopedia of Social Sciences: (Chivalry in Europe)
4. Encyclopedia Britanica: (Knighthood)
5. Cubberly's Hist. of Education
6. مقالة الأستاذ عبد الله عنان عن « الفروسية » فى « أحسن ما كتبت » ص ٢٥

أبحاث تاريخية جديدة

الاسلام فى غرب أفريقية

مدى انتشاره فى تلك الأقاليم ومبلغ أثره فى الأهلين

للأديب جمال الدين محمد الشيال

تقدمة

بدأ الإسلام فى شبه جزيرة العرب ... ومنها انتشر سريعاً فى مختلف أنحاء العالم فوصل إلى الصين شرقاً امتد إلى الأندلس والمحيط الأطلسى غربا . وأينما وصل الإسلام نشأت حضارة إسلامية جديدة أخذت عناصرها من حضارة الإقليم المرمة المحطمة ومن حضارة الدين الجديد وتعاليمه... ثم استقرت هذه الحضارات ، كل حضارة فى إقليمها الخاص بها ... وظهرت لها بمرور الزمن مميزات خاصة ... ولكن هذه الحضارات كانت تتصف بصفات مشتركة تجتمع فيها عند نقطة واحدة تميزها جميعاً... تلك هى أنها حضارات إسلامية

وفى كل بلد من هذه البلاد الإسلامية وجدت معاهد للعلم ونشأ العلماء فى كل فن ... ونبغوا ... ورحلوا ... ونشروا دينهم ... وكتبوا الكتب تتحدث من كل علم وفن ... وتصف كل قطر عرفوه أو رحلوا إليه أو نقلوا إليه دينهم ...

وكانت بلاد المغرب إحدى تلك الأقاليم التى انتشر فيها الإسلام وإحدى تلك الأقاليم التى نشرت الإسلام فى طول الصحراء وعرضها حتى وصل إلى حدود الكمرون جنوباً وإلى شاطئ المحيط الأطلسى غرباً ... وقد تحدث المؤرخون الإسلاميون عن هذه الجهات فى كتبهم ورحلاتهم ...

فأبو عبيد البكرى الأندلسى وابن فياض الأندلسى وابن خرداذبة كلهم يتحدثون عنها وعن حدودها فيقولون : « فأول بلاد المغرب مما على ساحل البحر الرومى مدينة أطابلس المعروفة ببرقة ، وآخرها مما على ساحل البحر الأعظم مدينة طنجة ، وطنجة هذه آخر بلاد المغرب المحقق وما بعدها من البلاد فإنما هو فى الجنوب إلى أن يأتى بلاد الحبشة والهند ... »

أما ابن بطوطة فقد جاب الصحراء المسلمة واتصل بقبائلها وملوكها ووصل حتى بلدة كارسخو بين نهرى النيجر والسنغال .

وابن بطوطة رحالة عاش فى النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وقد طاف فى معظم الجهات الإسلامية المعروفة فى ذلك الحين ومنها غرب أفريقية ؛ وقد أحببت أن أنقل عنه أخبار انتقاله باختصار لتكون دليلاً مادياً على وصول الإسلام لتلك الجهات وإن كان الرجل يخلط خلطا غريباً بين نهرى النيل والنيجر ، ولكن له فى الواقع عذره لجهل العالم كله فى ذلك العصر بأواسط أفريقية ومنابع أنهارها . يقول ابن بطوطة :

« ثم سرنا من زاغرى فوصلنا إلى النهر الأعظم وهو النيل وعليه بلدة كارسخو ؛ والنيل ينحدر منها إلى كابرة ، ثم إلى زاغة ؛ ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالى ... وأهل زاغة قدماء فى الإسلام ولهم ديانة وطلب للعلم ؛ ثم ينحدر النيل إلى تنبكتو ، ثم إلى كوكو ، ثم إلى بلدة مولى من بلاد الليميين — وهي آخر عمالة مالى — ثم إلى يوفى ، وهي من أكبر بلاد السودان ، وسلطانها من أعظم سلاطينهم ؛ ثم ينحدر إلى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية ؛ ثم إلى دنقلة ، وهى أكبر بلادهم وسلطانها يدعى بابن كنز الدين أسلم أيام الملك الناصر ؛ ثم ينحدر إلى جنادل ، وهى آخر عمالة بالسودان ، وأول عمالة أسوان من صعيد مصر »

« ثم سرنا من كارسخو فوصلنا إلى نهر صنصرة ، ثم رحلنا إلى بلدة ميمة فنزلنا منها على آبار بخارجها ، ثم سافرنا منها إلى مدينة تنبكتو ، ومن تنبكتو ركبت النيل فى مركب صغير منحوت من خشبة واحدة ، ثم سرت إلى مدينة كوكو وهى مدينة كبيرة على النيل ؛ ثم سافرت منها إلى تكدا ، ووصلنا إلى كاهر من بلاد السلطان التكركرى ؛ ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوماً فى برية لا عمارة فيها إلا أن بها الماء ، ووصلنا إلى الموضع الذى يفرق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق توات ، وسرنا من هنالك عشرة أيام ووصلنا إلى هكار وهم طائفة من البربر ملثمون ، وسرنا من بلاد هكار شهرا ، ووصلنا يوم عيد الفطر إلى بلاد برابر ، ثم وصلنا إلى بودا وهي من أكبر قرى توات ، وأقمنا ببودا أياماً ثم سافرنا فى قافلة ، ووصلنا فى أواسط ذى القعدة إلى مدينة سجلماسة ... الخ[1] »

(١) رحلة ابن بطوطة — طبعة وزارة المعارف سنة ١٩٣٣ ص٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣

وهو إذ يتحدث عن معدن النحاس ص ٣٢٠ يقول «ويحملون النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفار — وإلى زغاى — وإلى بلاد برنو وهي على مسيرة أربعين يوماً من تكدا وأهلها مسلمون ولهم ملك اسمه ادريس ...»

من هذا نستبين بكل وضوح أن أقصى ما وصل إليه ابن بطوطة غرباً هو مدينة «كارسخو» وهو في كل تلك المنطقة التي طاف بها يذكر لنا أنه كان ينزل بسلطان الولاية المسلم فيرحب به ويجمعه بقضاة الولاية وعلمائها . غير أن ابن بطوطة لم يصل إلى شاطىء المحيط من جهة الغرب في حين أن الاسلام كان منتشراً في غانة في ذلك الحين كما سنرى من قول ابن خلدون المعاصر لابن بطوطة في كتابه «المغرب في تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب» وهو يبدأ بتحديد بلاد المغرب وغرب أفريقية على عهده، وقوله في ذلك ثقة لأنه نشأ في تونس وتنقل في معظم بلاد المغرب كتلمسان وبسكرة وبجاية وغيرها . واتصل بالحكام في كل تلك الأقاليم ، وله كتابه المشهور (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر)

حدود المغرب كما جاءت في كتاب «المغرب» لابن خلدون

« إن المغرب قطر واحد متميز الأقطار ، فحده من جهة الغرب البحر المحيط ، وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وأزمور وأنفى وأسفى ، وهي كلها من مساكن البربر وحواضرهم ؛ وأما حده من جهة الشمال فالبحر الرومي المتفرع من هذا البحر المحيط يخرج في خليج متضايق ما بين طنجة من بلاد المغرب وطريف من بلاد الأندلس ؛ وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال المتهيلة الماثلة حجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر ، ويعرف عند البادية بالعرق ، وهذا العرق سياج على المغرب من جهة الجنوب مبتدىء من البحر المحيط وذاهب في جهة الشرق على سمت واحد إلى أن يعترضه النيل الهابط من الجنوب إلى مصر فهنالك ينقطع ؛ وأما حده من جهة الشرق فيختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب مثل أفريقية والزاب والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والسوس الأدنى والأقصى . هذا هو المغرب في العرف لهذا العهد وهو الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم [١] »

(١) (المغرب في تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب) لابن خلدون . طبعة لايدن سنة ١٨٤٨ . ص ١١٨ وما بعدها

ومن هذا نرى أن ابن خلدون في وصفه للبلاد أدق بكثير من غيره من كتاب العرب ؛ وتبدو لنا دقته من وصفه لتفرع بحر الروم من البحر المحيط ، وتبدو لنا دقته بوضوح بعد هذا بقليل عند ما يتتبع العرق حتى يصل إلى النيل . وسيبدو لنا ابن خلدون أكثر دقة عند كلامه عن شعوب البربر ، وقد أردت أن أبدأ بوصف جونستون لهذه الشعوب ثم أتبعه بوصف ابن خلدون ؛ وسنرى بعد قراءة الوصفين أن ابن خلدون على تقدم عصره كان أجمل وصفاً وأدق تعبيراً من جونستون . ولا غرو فابن خلدون ابن تلك الفيافي والبلاد . وسنأتي الآن بتقسيم جونستون لجماعات البربر : في أوائل القرن السابع كان الجنس الليبي أو بربر شمال أفريقية الذين كانوا يسكنون كل المنطقة الواقعة بين الحدود الغربية لمصر (بعد واحة سيوة) شرقاً وساحل مراكش غرباً ينقسمون إلى : —

(١) البربر الشرقيون أو الليبيون (لواتا Luota وهوارة Huore وأوريغا Aurigha ونفوسة Nefuse) ويسكنون قيرينيقا وطرابلس وتونس وجزءاً من شرق الجزائر

(٢) البربر الغربيون أو صنهاجة Senhaga وكانوا يشغلون سواحل الجزائر وغربيها وكل مراكش حتى يصلوا إلى حدود الصحراء جنوباً

(٣) زناتة Zeneta وهم أقتم لوناً وقد انحدروا من Getulians وقد يتصلون في الأصل بالنولا الذين سكنوا في القرن السابع أجزاء كانت تقل أو تكثر من الإقليم الصحراوي جنوب الجزائر وتونس ومراكش ومن زناتة انحدر البربر المزاب Mzab Berbers الحديثون وقبائل الورجلي Wargli People وبنو مرين Beni Merin الذين أسسوا أسرة حكمت البربر فيما بعد

وقد دُفع كثير من زناتة السود إلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط في فترات مختلفة ، كما أن كثيرين من البربر الشرقيين أو الليبيين قد دفعوا إلى قلب الصحراء تحت تأثير العرب الفاتحين ومنهم نشأت فرقة الطوارق فيما بعد . وكذلك هاجر كثيرون من البربر الغربيين أو الصنهاجيين في القرن السابع إلى الصحراء جنوباً واستقروا شمال نيجريا وشمال حدود السنغال فليس هناك من شك أن كلمة زناجا Zenaga (اسم قبيلة من قبائل

البربر) قد أخذت من صنهاجة ثم حرّف البرتغاليون زناجافيا بعد فأصبحت « سنغال » (١)

وفى القرن السابع كذلك كانت هناك علاقات تجارية بين زنوج الجارامنت Negroid Garamantes وبين جنوب وشرق ليبيا ووصلت هذه العلاقات حتى كانم وبحيرة شاد ودارفور وكردفان ، فكانت هذه الطرق أكبر مسهل للعرب فى فتوحهم المستقبلة للسودان وبلاد المغرب

هذا ملخص تقسيم جونستون لهـذه القبائل . ولنر الآن ماذا يقول ابن خلدون فى وصفها قال : « هذه الأمم السودان من الآدميين هم أهل الإقليم الثانى وما وراءه إلى آخر الأول ، بل وإلى آخر المعمور متصلون ما بين المغرب والمشرق يجاورون بلاد البربر بالمغرب وافريقية وبلاد اليمن والحجاز بالوسط ، والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالشرق ؛ وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالشرق الزنج والحبشة والنوبة ، وأما أهل المغرب فنحن ذاكروهم ، وأما نسبهم فإلى حام بن نوح »

« وعد ابن سعيد من قبائلهم وأممهم تسع عشرة أمة فمنهم بالشرق الزنج على بحر الهند ولهم مدينة منبسة وهم مجوس ويليهم بربرا ، والإسلام لهذا العهد فاش فيهم ولهم مدينة مقدشوا على على البحر الهندى يعمرها تجار المسلمين ، ومن غربيهم وجنوبهم الدمادم وهم حفاة عراة ؛ ويليهم الحبشة وهم أعظم أمم السودان وهم مجاورون لليمن على شاطىء البحر الغربى منه ؛ ويليهم البجا وهم نصارى ومسلمون ولهم جزيرة مدينة دنقلة غرب النيل وأكثرهم نصارى ؛ ويليهم زغاوة وهم مسلمون ومن شعوبهم تاجرة ؛ ويليهم كانم وهم خلق عظيم والإسلام غالب عليهم ومدينتهم حيمى ولهم التغلب على بلاد الصحراء إلى فزان ؛ ويليهم عن غربيهم كوكو وبعدهم تكارة والتكرور ولمى ونغم وجابي وكوري وانكرار ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانة فى الغرب »

« ولما فتحت أفريقية المغرب دخل التجار بلاد المغرب منهم فلم يجدوا فيها أعظم من ملك غانة . كانوا مجاورين للبحر المحيط من جانب الغرب وكانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك ، وكانت تجاورهم من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم الناقلون تعرف بصوصو . ثم بعدها أمة أخرى تعرف بمالى . ثم بعدها أمة أخرى تعرف بكوكو ويقال لها كاغو . ثم بعدها أمة أخرى تعرف بالتكرور . ثم إن أهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جانب الشمال مما يلى بلاد البربر واعتزوا على السودان واستباحوا حماهم وبلادهم واقتضوا منهم الأتاوات والجزى ، وحملوا كثيراً منهم على الاسلام فدانوا به ؛ ثم اضمحل ملك أصحاب غانة وتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من أهل السودان واستعبدوهم وأصاروهم فى جلتهم . ثم إن أهل مالى كثروا أمم السودان فى نواحيهم تلك واستطالوا على الأقاليم فتغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم ، وملك أهل غانة إلى البحر المحيط من ناحية الغرب وكانوا مسلمين يذكرون أن أول من أسلم منهم ملك اسمه « برمندانة » . ثم يذكر ابن خلدون بعد ذلك من تولى الحكم بعد هذا الملك حتى يصل إلى الملك ساكوره (سبكرة) فيقول عنه : « وحج أيام الملك الناصر وقتل عند مرجعه بتاجورا وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الأمم المجاورة لهم وافتتح بلاد كوكو وأصارها فى ملكة أهل مالى فاتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب إلى بلاد التكرور فى المشرق ، واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وأفريقية ... الخ »

هذا هو كلام ابن خلدون وقد تعمدت أن أنقله فى هـذه السطور الكثيرة لأنه قد شرح ما ألم به ابن بطوطة وما أجمله جونستون ، فمن كلام ابن خلدون نستطيع أن نفهم بوضوح أى القبائل كانت تسكن فى كل تلك الأقاليم ، ونستطيع أن نفهم بوضوح أى هذه القبائل كانت تدين بالإسلام وإلى أى حد وصل الإسلام ؛ ولكن ابن خلدون عاش فى أوائل القرن الرابع عشر كما قلنا وهو إذ يتحدث عن هـذه الديار يتحدث عنها كديار إسلامية انتقل إليها الإسلام من مختلف الجهات واستقر بها وأثر فى أهلها ، ولكننا قد نتساءل بعد هذا : كيف دخل الإسلام إلى تلك الجهات وكيف اقتحم على أولئك الزنوج غاباتهم وأحراجهم وبيوتهم ومدنهم ؟ وكيف أثر فى الأهلين وفى عاداتهم وأخلاقهم ؟ هذا ما سنتناوله الآن بالبحث

(يتبع) جمال الدين محمد الشيال

(١) جونستون — استعمار افريقيا — كامبروج سنة ١٩١٣ ص٥٤

الهيكل

لشاعر الحب والجمال لامارتين

ترجمة السيد عارف قياسة

« مهداة إلى أستاذنا الزيات اعترافاً بما لترجمته من فضل على المترجمين » (عارف)

(ولج الشاعر ذات مساء بيعة قرية ، فإذا ضوء خافت ينير ظلمتها ، وإذا نفسه الطاهرة تجيش بالخواطر ، وإذا قلبه الخاشع يفيض بالشعر ، وإذا هو يخرج من البيعة ويمتشق يراعته ويسجل هذه القصيدة في صفحة الخلود) :

* * *

ما أحيلاه حين يصعد كوكب الشفق إلى القبة الزرقاء ، وقد سبق عجلة الليل الهادئة الوادعة ، وحين يتنازع النور والظلام عرش النبراء . ما أحيلاه إذا ماضرب في أعماق الوادي ، والقلب عامر بالتقوى ، زاخر بالورع ، مولياً وجهه شطر الهيكل القروي حيث تخلع الطبيعة على أروقته الساذجة ثوباً من الأشنة ، وحيث تزال الحجب وتكشف الأغطية ، وحيث تتحدث السماء إلى قلوب طفحت بالتقوى

* * *

تحية أيتها الغابة المقدسة ! تحية يا أيها الحقل الذي رفرف الحمام فوقه ، يا حارس أجداث القرية ! إني لأبارك أرماسك المتواضعة في غدوي ورواحي . ومع الأولى مشوا على رفات الباد اختيالا ! جثوت على ركبتي أمام قبورهم إجلالا وقد رنت أقدامي في صخرة الهيكل . الليل ساج داج ، والضوء خافت مرتعش في المحراب ، ينبعث من سراج وهاج ، تألق قرب (المذابح) المقدسة ، سراج يتلألأ حين يبسط الكرى أجنحته على الكون رمز الإحسان الساهر ، ماسح مدامع البؤساء ، وجامع آهات الأشقياء

* * *

دلفت إلى الهيكل ، فلم يرن في أذني غير اهتزاز رنانه تحت وقع أقدامي الموزونة . أيتها الجدران المباركة ! أيتها المذابح المقدسة ! إني لفريد وحيد ، وإن نفسي لتود لو سكبت أماكن آلامها الممضة ، وغرامها المضني ، وأودعت السماء كلمات خفية ، ستدرك كنهها هي وحدها ، وستسمعها أنتن وحدكن

* * *

ولكن لم أزهف إلى تلك المذابح غير هياب ولا وجل ؟ أي ربي العظيم ! إني لأجرؤ أن أحمل في هذا الهيكل الخاشع قلباً يرمضه الألم ، ويضنيه الغرام . رحماك ربي ! إني لأحس بالرعدة تسري في كياني ! إغفر ما اجترحت في بيتك من خطايا وآثام .

كلا ! إن نار الجوى التي تلهمني لا تصبغ وجهي بحمرة الإثم . الحب طاهر ما أذكت الفضيلة لظاه ، نقي نقاوة من أخلصت لها الوداد . إن غرامي ليلذع قلبي ولكن بجذوة مقدسة ، فالصبر يشرفه ، والشقاء ينقيه ويطهره

* * *

لقد ذكرته إلى النبراء ، وإلى الطبيعة الحسناء ؛ ذكرته أمام مذابحك المقدسة في غير وجل ولا إشفاق ، وإني لأجرؤ على ذكره أمام عظمتك أيها الرب القدير ! أجل ! لقد تمتمت شفاهي باسم « إلفير Elvire » برغم ماقذفه هيكله من الروع في فؤادي . إن ذلك الاسم الحبيب الذي تعيده الأجداث إلى الأجداث ، وتهمس به الأموات في آذان الأموات ، ليكدر سكون المقبرة الرهيب كما يكدره شق زفر آهة معولة

* * *

تحية أيتها الرموس المقرورة ! تحية أيتها المنازل المقدسة ! لقد أعاد صدى الليل سويعاتنا السعيدة وأويقاتنا الحبيبة حين أذريت دمعي أمامكن . شاهدت السماء مدامعي المسفوحة فقرت عيني وطابت نفسي

لعل « إلفير » التي تساهر وحيدة صورتي الحبيبة ، تدلف في تلك اللحظة إلى معبد داج ، مخضلة العينين بالدموع ، وتجثو أمام المذابح القفرة تودع آلامها وأشجانها كما أودعت آلامي وأشجاني

حماة « سوريا » عارف قياسة

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٢٤٥ — مكشوف الرأس

في (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي : في سنة (٤٥٦) توفى عبد الواحد بن علي بن برهان العُكبري النحوي صاحب التصانيف ، قال الخطيب : كان مطلعاً بعلوم كثيرة منها النحو واللغة والنسب وأيام العرب ، وله أنس شديد بعلم الحديث . وقال ابن ماكولا (١) : سمع من ابن بطة ، وذهب بموته علم العربية من بغداد ؛ وكان أحد من يعرف الأنساب ولم أر مثله ؛ وكان فقيها حنفياً ، أخذ علم الكلام عن أبي الحسين البصري وتقدم فيه . وقال ابن الأثير : له اختيار في الفقه ، وكان يمشي في الأسواق مكشوف الرأس (٢)

٢٤٦ — هي ابن الرومي عن النرجس . .

ابن الرومي :

أرى حسن هذا النرجس النضّ مخبراً
عن الله أن ليس النبيذ محرما

٢٤٧ — وكنتم قبله سراً يموت في ضلوع كاتم

مهيار :

ما برحت مظلمة دنياكم ... حتى أضاء كوكب في هاشم
نلتم به وكنتم قبله ... سراً يموت في ضلوع كاتم (٣)

٢٤٨ — نوارة لا تحتمل أن تحك بين الأكف

سئل أبو العباس بن البناء ، وكان رجلا صالحا ، في قوله تعالى :

(١) على بن هبة الله من نسل أبي دلف وله (الإكمال) وعليه اعتماد المحدثين كما قال ابن خلكان

(٢) وممن كانوا يمشون مكشوفي الرءوس : الشيخ زين الدين عبد القادر الدشطوطي (نسبة إلى دشطوط من قرى الصعيد وفاته ٩٢٠) وعبد العال المصري (وفاته ٩٣١) وإبراهيم المصري المشهور بأبي لحاف (وفاته ٩٤٠)

(٣) وفي رواية وهي التي في الديوان المطبوع (نلتم به وكنتم من قبله نلتم ظهرتم ، وبعد البيت :

حللتم بهديه وعنه ... بعد الوهاد في ذرى العواصم
تخفق راياتكم منصورة ... إذا ادرعتم باسمه في جاحم

(قالوا إن هذان لساحران (١)) لِمَ لَمْ تعمل إن في هذان ؟ فقال : لما لم يؤثر القول في المقول ، لم يؤثر العامل في المعمول

فقال له : يا سيدي ، هذا لا ينهض جواباً فإنه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل إن

فقال له : إن هذا الجواب نوّارة لا تحتمل أن تحك بين الأكف

٢٤٩ — رفق

في (اليتيمة) : كان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش ، وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب . فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يحثه على استحضارها :

محلك الجوزاء أو أرفع ... وصدرك الدهناء أو أوسع (٢)
وقلبك الرحب الذي لم يزل ... للجد والهزل به موضع
رفّه بقرع العود سمعاً غدا ... قرع العوالي جُلّ ما يسمع

فبلغت الأبيات المهلبي الوزير فأمر القيان بحفظها وتلحينها ، وصار لا يشرب إلا عليها

٢٥٠ — كيف يصبح ؟ كيف يمسي ؟

عبيد الله بن العباس الربيعي :

يا شادناً رام إذ مرّ ... في السعانين قتلي (٣)
تقول لي : كيف أصبحت ؟ ... وكيف يصبح مثلي ؟ !

البديع الهمذاني :

يا سائلي ، كيف تمسي ؟ ... أخو الهوى كيف يمسي ؟ !

٢٥١ — الصدرة رحمة

في (كتاب أخبار النساء) لابن قيم الجوزية : قال بعضهم :

(١) قرأ أبو عمرو : إن هذين لساحران ، وابن كثير وحفص إن هذان لساحران (واللام هي الفارقة) وأبي : إن ذان إلا ساحران . وهناك غيرها منها إن هذان لساحران وفي (إعراب القرآن) تبيين كل ذلك . في شرح الكافية : قد جاء ذان وتان واللذان واللتان في الأحوال الثلاثة

(٢) الجوزاء : برج في السماء سميت لأنها معترضة في جوز السماء أي وسطها (التاج) الدهناء : الفلاة ، موضع لتميم بنجد مسيرة ثلاثة أيام لا ماء فيه ، يمد ويقصر في الشعر (التاج)

(٣) السعانين : عيد النصارى قبل الفصح بأسبوع يخرجون فيه بصلبانهم (القاموس) وهو : يوم السباسب في شعر النابغة :

« يحيون بالريحان يوم السباسب »

سمعت يحيى بن سفيان يقول : رأيت بمصر جارية بيعت بألف دينار فما رأيت وجهاً قط أحسن من وجهها صلى الله عليها !

فقلت له : يا أبا زكريا ، مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك ؟

فقال : وما تنكر على من ذلك ؟ ! صلى الله عليها وعلى كل مليح ! يا ابن أخي ، الصلاة رحمة

٢٥٢ — يحترس بها من الغيلان

في (الموشح) للمرزباني : قال احمد بن عبيد الله مما أنكر على أبي العتاهية قوله لما ترفق في نسيبه بعتبة :

إني أعوذ من التي شغفت مني الفؤاد ـ بآية الكرسي (١)

وآية الكرسي يهرب منها الشياطين ، ويحترس بها من الغيلان — كما روى عن ابن مسعود في ذلك — وأبو العتاهية مع رقة طبعه ، وقرب متناوله ، وسهولة نظم المنثور عليه ، وسرعته إلى مايعجز المتأنى بلوغه — لايخلو من الخطأ الفاحش والقول السخيف

٢٥٣ — لأن الضاية من ثم

قال أبو بكر بن العربي في رحلته : كان بمدينة السلام إمام من الصوفية يعرف بابن عطاء ، فتكلم يوماً على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب إليه من مكروه . فقام رجل من آخر مجلسه — وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة — فقال : يا شيخ ، ياسيدنا ، فإذن يوسف همّ وما تمّ

فقال : نعم لأن العناية من ثمّ

فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم ، وفطنة العامي في سؤاله ، والعالم في اختصاره واستيفائه

٢٥٤ — ما زعزعتك

روى أن رجلاً مر ببشار وهو مستلق على قفاه في دهليزه كأنه فيل (٢) ؛ فقال يا أبا معاذ إنك تقول :

إنّ في بردىّ جسماً ناحلاً لو توكأت عليه لانهدم

وإنك لو أرسل الله الريح التي أهلكت عاداً عليك مازعزعتك

(١) شغف الحب فؤاده : علا وغلب عليه (الأساس)

(٢) في (الأغاني) : قالت امرأة لبشار ما أدرى لم يهابك الناس مع قبح وجهك ، فقال لها : ليس من حسنه يهاب الأسد

٢٥٥ — فإنها قد مثلت في الضمير

ضرير :

وغادة قالت لأترابها : يا قوم ، ما أعجب هذا الضرير !

أيعشق الإنسان ما لا يرى ؟ فقلت ـ والدمع بعيني غزير ـ :

إن لم تكن عيني رأت شخصها فإنها قد مثلت في الضمير !

٢٥٦ — لو رآه ابن ليون لاختصره

كان ابن ليون التجيبي — وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب — مولعاً باختصار الكتب ، وتآليفه تزيد على المائة

ومما حكى من بعض كبراء المغرب أنه رأى رجلا طوّالا (١) فقال لمن حضر : (لو رآه ابن ليون لاختصره) إشارة إلى كثرة اختصاره الكتب

٢٥٧ — فلا زال عليه أو به طرب

مما يستحسن في وصف العود قول ابن القاضي :

جاءت بعود تناغيه ويسعدها فانظر بدائع ماخصت به الشجر

غنت على عودها الأطيار مفصحة غضاً فلما ذوى غنى به البشر

فلا يزال عليه أو به طربٌ يهيجه الأعجمان : الطير والوتر

٢٥٨ — وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

في رسالة (أخلاق الكتاب) للجاحظ : حدثني عمر بن سيف أنه حضر مجلس أبي عباد ثابت بن يحيى يوماً في منزله وعنده جماعة من الكتاب فذكر ماهم عليه من ملائم (٢) الأخلاق ، ووصف تقاطعهم عند الاحتياج ، وعدم تعاطفهم عند الاختلال فقال :

معاشر الكتاب ، لا أعلم أهل صناعة أملأ لقلوب العامة منكم ، ولا النعم على قوم أظهر منها عليكم . ثم إنكم في غاية التقاطع عند الاحتياج ، وفي ذروة الزهد في التعاطف عند الاختلال . وإنه ليبلغني أن رجلاً من القصابين يكون في سوقه ، فيتلف ماقي يديه ، فيخلى له القصابون سوقهم يومه ويجعلون له أرباحهم فيكون بربحها متفرداً ، وبالبيع متفرداً ، فيسدون بذلك خلته ، ويجبرون منه كسره

(١) الطوال : بالتشديد للفرط الطول وجمعه طوالون ، لا يكسر إنما يجمع جمع السلامة

(٢) الملأمة : اللؤم

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

المسافر :

وكان قد انتصف الليل عند ما توجه زارا إلى أكمة الجزيرة وهو يجد في السير ليبلغ الشاطئ الآخر عند بزوغ الفجر إذ كان يقصد الابحار من هذه الجهة حيث ترسو بعض المراكب لتقل طلاب المهاجرة من الجزر السعيدة

وتذكر زارا الرحلات التي قام بها منفرداً منذ صباه فمرت بمخيلته رسوم الجبال والتلال والذرى التي تسلقها في حياته فقال : «ما أنا إلا رحالة ومتسلق مرتفعات وماتستهويني منبسطات الأرض ولا يستقر بي مقام . ومهما قُدّر على ومهما وقع لي فلا تعدو الحوادث أن تكون في نظري رحلة واعتلاء . فما لي أن أرى من الآفاق إلا ما انطبع منها في نفسي . ولقد مضى الزمن الذي كان لي فيه أن أتوقع الحوادث من خطرات الحظ . وهل لي أن أنال من الدهر شيئاً لم يستقر في نفسي من قبل ؟

إن كل ما يطرأ عليّ بعد الآن إنما هو ذاتي العائدة تكراراً بعد انفراطها وتمازجها في الأشياء وتصاريف الزمان . غير أنني أصبحت الآن على مدرج آخر الذرى أمام أصعب مسلك ما اقتحمت مثله في حياتي ، فأنا أبدأ الآن أشد رحلاتي عناء وأروعها وحشة

وأنى لمثلي أن يتجنب مثل هذه الساعة التي تهتف قائلة : إنك على مبدأ طريق المجد حيث تتداخل الذرى في المهاوي . أنت تسير على هذه الطريق وكنت تراها قبلاً آخر ما تقتحم من أخطار فأصبحت لديك آخر ملجأ تهرع إليه

إنك تسير على طريق المجد فعليك أن تتدرع بالحزم الأوفى لتقطع بنفسك خط الرجوع على نفسك

إنك تسير على طريق المجد ، فأنت منفرد عليها لا يزحمك أحد من ورائك ، وقد محت أقدامك آثار خطاك على ما وراءك من المسالك ، ولاحت كلمة المستحيل بعينيك على آفاق هذه الطريق

ولا بد لك إذا ما خلت المدارج تحت أقدامك أن تتسلق قمة رأسك إذ لا سبيل لك للاعتلاء إلا إذا اتجهت إليه وإلى ما وراءه وأنت تدوس على قلبك ، وهكذا سيشفيك ما كان يحلو لديك

إن من أفرط في ادخار جهوده لا يلبث حتى يُبتلى بالخمول ، تبارك كل جهد يشد العزم ، فلا خير في أرض تدر اللبن والعسل ؛ ومن يطمح إلى الاحاطة بأمور كثيرة فليتدرب على إرسال أبصاره إلى ما وراء حدود ذاته . وعلى كل متسلق للذرى أن يتمزز بمثل هذا الحزم إذ لا يسع من يتحرى الأمور متجسساً بفضوله إلا الوقوف عند أسهل الأفكار مثالا . وأنت يا زارا تطمح إلى الاحاطة بالملل وإلى نفوذ خفايا الأمور ، فعليك أن تحلق فوق ذاتك فتجتازها متعالياً حتى ترى ما فيك من كواكب متصاغرة في كل أفق دون أفقك الرفيع

أجل إن ذروتي إنما هي حيث أقف ناظراً إلى الأعماق فأرى فيها ذاتي وكواكبها ، تلك هي آخر هضبة أطمح إلى بلوغ قمتها »

بهذا كان يناجي زارا نفسه وهو يصعد المرتفع معللا بالتعاليم الصارمة ما في قلبه من جراح

وعند ما بلغ الذروة انبسط البحر أمام ناظريه فوقف مبهوتاً واستغرق في صمت طويل ، وكانت السماء لا تزال تتألق بالنجوم والهواء يهب بارداً على الأكمة

وهتف زارا حزيناً : «لقد تبينت ما قُدّر عليّ ، وها أنذا مستعد للاقدام فهذه آخر عزلة أقتحمها

سأنحدر إليك أيها البحر المظلم المنبسط عند أقدامي ، أنت الليالي المفعمة بالأحزان ، أنت القضاء والقدر أيها الخضم البعيد

إنني أقصد أرفع جبالي مفتتحاً أبعد أسفاري فعليّ إذاً أن أهبط إلى مهاوٍ أبعد في أغوارها من كل ذروة رقيتها حتى الآن

عليّ أن أذهب من الأسى إلى أغوار مارسبت في مثلها من

قبل فأصل إلى قرارة ماقى الأحزان من ظلمات . ذلك ماقدر علىّ فأنا على أهبة لاقتحامه

لقد تساءلت فيا مضى عن منشأ الجبال فعرفت أخيراً أنها نهدت من البحار كما تشهد صخورها وجروف ذرواتها ، فما يبلغ الأعلى مقامه إلا لانطلاقه من المقام الأدنى »

هكذا تكلم زارا وهو ماثل على قمة الجبل تدور به لفحات الصقيع ، ولكنه ما بلغ الشاطئ ووقف بين نتوءات صخوره حتى حل عليه التعب وتزايدت أشواقه فقال :

« إن البحر هاجع أيضاً فعينه الوسنى تحدجنى بلفتات غريبة وأنفاسه الحرى تهب علي . إنه مستغرق فى أحلامه يتقلب مضطرباً على جانبات مسانده . إنى أستمع لهديره كأنه يئن بتذكارات منجعات ، وقد يكون هذا الهدير نذيراً بالشؤم فى آتى الزمان

إنى أشاطرك الأسى أيها المدى المظلم الوسيع ، فأنا بسببك ناقم على نفسى أتمنى لو طالت يدى فأنقذك من أصفاد أحلامك »

وانتبه زارا فإذا هو يضحك ساخراً من ذاته فتمرمر وتساءل عما إذا كان سيبلغ به حماسه إلى اطلاق إنشاده لتعزية البحار ، وعما إذا كان سيستمر مضعضعاً فى سكرة غرامه واستسلامه فقال :

«لقد عرفتك فى كل زمان يازارا تقتحم الأمور الخطيرة بلا كلفة وبلا مبالاة ، وقد رأيتك طوال حياتك تدغدغ الوحوش المفترسة فكان يكفيك منها أن تهتاج حبك بأنفاسها الحرى وبنعومة مخالبها لتجتذبك إليها

ليس من خطر أعظم من الحب يحدق بالمستغرق فى عزلته فإن المنفرد يحب كل شيء يتنسم فيه الحياة ؛ وما أعجب جنونى بالحب وتساهلى فيه »

هكذا تكلم زارا وقد عاد إلى الحزم بنفسه ؛ غير أنه تذكر من هجر من خلانه تخيل اليه أنه يسيء إليهم بتفكيره فيهم ، فنقم على نفسه وانقلب من ضحكه إلى البكاء فسالت دموعه مريرة يمازج فيها الغضب والشوق

فليكس فارس

العلويون والتقمص

فى أوقات مختلفة ، لكتاب مختلفين ، نشرت (الرسالة) مجلة الأدب الراقى والفن الرائع ، بعض الآراء عن بعض المعتقدات والمذاهب المتفرعة عن الإسلام

بحثها الأستاذ عنان على سبيل التاريخ ، وغيره على ضوء المعلومات الحديثة والاختبارات الشخصية

وقد أجمع الكتاب والناس على أن الدروز يؤمنون بالتقمص ؛ وقد كان إجماعهم فى هذه المرة صادقا لايلوثه شك . أما أنا فأقول إن العلويين « النصيرية » يؤمنون بالتقمص كإخوانهم الدروز . ولست أطلع بهذا النبأ طلوع من يجهل ، فلقد تحريت هذا الاعتقاد بنفسى بين إخواننا فألفيته موجوداً مستساغاً لا شك فيه ولا غبار عليه . وللعلويين فى اعتقادهم هذا حكايات جميلة ، ونكت حلوة لا بأس إذا نقلنا « للرسالة » شيئاً منها

قال لى أحدهم : ألا تعتقد يا أخى بالتقمص وقد أوجسنا من دلائله ما حملنا على الإيمان به أشد الإيمان وأقواه ؟ قلت : ما هذه الدلائل ؟ قال : اسمع ، ولد فى قرية (كذا) يقصد امرأة مات زوجها عنها ويدعى أنه تحول إليه ، يذكرها بعهود الصبا ، وبأيام قضاها وإياها ، ويحدثها بأسرارها الزوجية السالفة ، فتدهش لهذا وتعجب وتهبه من مالها الكثير وتؤمن أنه رجلها الراحل . قلت : هذا لا يكفينى . قال : إن كان لا بد فدونك :

لاشك أنك تعرف فى القرية الأجير (فلانا) وقد تدرك احترام معلمه له ، وقد ترى حب أم معلمه له الحب الجم ، وحياءها منه الحياء الكثير ، ولا بد أنك لحظت فى كفه آثار طلق نارى يظهر لك عتيقاً . قلت : وما تعنى بهذا ؟ قال :

أما الأجير فإنه أب للمعلم ، وزوج لأمه ، وهو يعاتبها لتزوجها بعد وفاته ، إنما كدأبوته العتيقة بآثار الطلق وبحوادث وأعمال صدقها بعض قدماء القرية ، وقد جرت بينهم وبين الراحل أمثالها ، ولو علمت أنه أتى عالم النور يوم مات أبو معلمه لصدقت بعض الشيء مما أقول

ذلك ما روى الرجل أثبته للتأكد من إيمانه بهذا المذهب ، وهذا ما حدث لى معه . وقد روى بعضهم أن اعتناق التقمص إنما يثير عدم مبالاة بالحياة ؛ وقد رأينا من العلويين الشيوخ شيئاً من هذا ، وقد رأينا من بعضهم شجاعة ربما كان من جملة بواعثها — غير طبيعتهم الجبلية فى سوريا — اعتقادهم بمذهب التقمص .

حماة « سوريا » محسن ميشكلى



رسالة الشعر



الشعر

للأستاذ فخرى أبو السعود

ألا يا صدى للنفس قد بات حاكياً   تترجم عنها شجوها والأمانيا
تبوح بذكراها وتحكى شعورها   وتروى رؤاها صادقاً والمعانيا
وتكشف من أسرارها كل مبهم   خبيراً بأغوار السريرة داريا
لأنت نديم النفس فى صبواتها
وإنْ عنّ خطب كنت أنت المواسيا
لها منك فى الأشجان ياشعرُ مفزَعٌ
تُدافعُ عنها اليأسَ بالبِشرِ ماحيا
وأنت قرين البأس والجد والعلى   وكم تلهِم العليا وتوحى التساميا
وما أنت ألفاظٌ تُصاغ لباقة
ولكنْ شعورُ النفس قد فاض طاميا
مَعينٌ بنفس المرء يجرى ترقرُقاً   إذا حَبستْه غِيضَ جَرْجَرَ داويا
أهابَ به من حادث الدهر نازلٌ   فأقبلَ دفّاقاً يلبّى المناديا
وما كنتُ يوماً ناظمَ الشعرِ إنما   غدوتُ له فى صفحة الكون تاليا
أقلّب من ديوان ذا الكون صفحةً   تلى صفحةً أتلوه للناس راويا
صحائفُ ما تَبلَى على الدهر جِدّةً   وكم بات تالوها عظاماً بواليا
صحائفُ حُسْنٍ قد عبدتُ صفاته   وصورتُ منه فى القصيد مَجاليا
وأودعته آمالَ أمسٍ وهمَّه   وأيامَ حسْنٍ قد مضت ولياليا
إذا رُحتُ أتلو ما خططتُ رأيتُنى   كأنّىَ أحيا ذلك العهد ثانيا
وما العيش إلا أنْ ترَى فتنة الورى
وتودِعها من بعــــد ذاك القوافيا
فلا عشتُ إلا ناظراً متمليّاً
أهذّبُ شعراً يعرِضُ الكونَ حاليا
يصوّر حسنَ الأفْق بالشمس سافراً
ويرسم سحر البدر يغْشَى الدياجيا
وأقدامَ طودٍ حفّها الموجُ غاسلاً   وهاماتِ هضبٍ لفّها الغيم كاسيا
ويحكى ائتلاف النور والظل والشذا
ويحكى خُفوقَ الغصن بالغيث ناديا
ويحكى خرير النهر يجرى مُسلْسَلاً
وألحان طير بات فى الغصن شاديا
أميرُ الفُنونِ الشعرُ جَمّع شملها   وأترعَ منهن النفوس الصواديا
روَى كلّ عينٍ ناقشاً ومصوراً   وكلّ سَماعٍ شادياً ومناجيا
وفيه مجالٌ للخيال وملعب   به الفكرُ يُدنى كلّ ما كان نائيا
ويمضى مع الأحلام فى كل مذهب
وترمِى به شتى الطيوف المراميا
ويَخلُق منها عالَماً بعد عالَمٍ   مليئاً بأسباب المسرات حاليا
ويدفعه حبُّ البعيدِ فينثنى   مع الريح يمضى أو إلى النجم راقيا
ويصْدَع أنيارَ الثرى وقيودَه   ويمرَحُ فى طلْق السموات ساريا
ويمعن فى ماضى الزمان مُجَوّلاً   ويسبرُ محجوباً من الغيب آتيا
ويجمع أطرافَ الحياة وتلتقى   على وِردِهِ الأجيالُ شتى تواليا

فخرى أبو السعود

من الشعر الرمزي

تعالي ... !

للأديب محمود السيد شعبان

تعالَيْ نشرب الكأس الـ(م)تي عتقها الرَّبُّ . . . !
وأحلاها لِكَيْ يصبو إليها الثغرُ والقلبُ
كؤوس لم تحرمها دِيانات ولا رُسُلُ !
إذا طاشَ الحِجا يوماً ففيها اللُّبُّ والعقلُ ! !
وفيها السِّحْرُ والإلها مُ والنشوةُ والحُبُّ !
تعالَيْ ! ... مالنا نشقى وفى إمكاننا الوَصْلُ ؟

* * *

خيالٌ أنتِ فى فكري أحيِّي فيهِ أحلامِي . .
تعالَيْ ! لا يُرَوِّعْكِ الـ أسَى يا بنتَ أوهامى !
عشقتُ السِّحْرَ والأحلا مَ والدنيا التي فيكِ ! !
وما زال الهوى بالشِّعـ ـرِ والألحان يَبْنيكِ !
تعالَيْ ! إنني صَدْيا نُ فى بيداء أيامي
وثغرِي ظامئٌ يا ليـ ـتَني أَرْوِيهِ مِنْ فيكِ ! !

* * *

تعالَيْ أدفئِي صـدرِي وما يحوي بأنفاسِكْ !
تعالَيْ زاوِجِي ما بيـ ـنَ إحساسِي وإحساسِكْ
تعالَيْ يا ابْنَـةَ الآما لِ نقضِ العمرَ لاهِيناَ !!
وهيَّا ننفضِ الأشجا نَ يوماً مِن أيادينا
وَصُبِّي النورَ فى كأسِي وصُبِّي الوَجدَ فى كاسِكْ !
وَبُثِّي رائعَ الأحـلا مِ حيناً فى أمانينا . . .

* * *

تعالَيْ ! رافقِي ذاتِي تعالَيْ ! غازِلِي حِسِّي ...!
تعالَيْ ! أسْقِكِ الأسْرا رَ مِن دَنِّي ومِن كأسِي !
فما فى الوَحدةِ الخرسا ءِ ما تهواهُ ألحانِي
وهذا الصمتُ لا يرضا هُ لِي حِسِّي وتحنانِي
أريدُكِ كَيْ أجاهدَ فيـ ـكِ عن طوعي هوى نفسي!
فما لكِ لا تُلَبِّينِي إذا ما الطُّهْرُ لبَّانِي ؟ !

* * *

تعالَيْ ! نَدِّي شجْوِي تعالَيْ ! جدِّدي قلبي
فما يهنيكِ أنْ أحيا على الدنيا بِلا حُبٍّ !
وأنْ تبقَى معي نفسي بِلا إلفٍ يُوافيها !
وتحيا ما ترى في النا سِ إنساناً يواسِيها !
دعيني بالهوى أشـدو إلى أنْ ينقضى نحبي ...
لأمضِي غيرَ محزونٍ على الدنيا وما فيها ! !

* * *

أرادَ الحسنُ يا قلبي لنا أنْ نعشقَ الدنيا !
وشاء اللهُ إذْ أوحَى إلينا الشوقَ أنْ نحيا !!
أخذنا الحبَّ والنجوَى عن الأطيار تلقيناً ...
ونامتنا رُؤَى الدنيا فكاد القبحُ يُصْبِينا ! !
فؤادِي ! قد طوَى هذا الـ ـهوى عنَّا الأسَى طيًّا
فأنشدْ روحيَ السَّكْرَى نشيداً للمُحِبِّينا ! !



الفن الهنـــدى

للدكتور احمد موسى

العمارة

— ٢ —

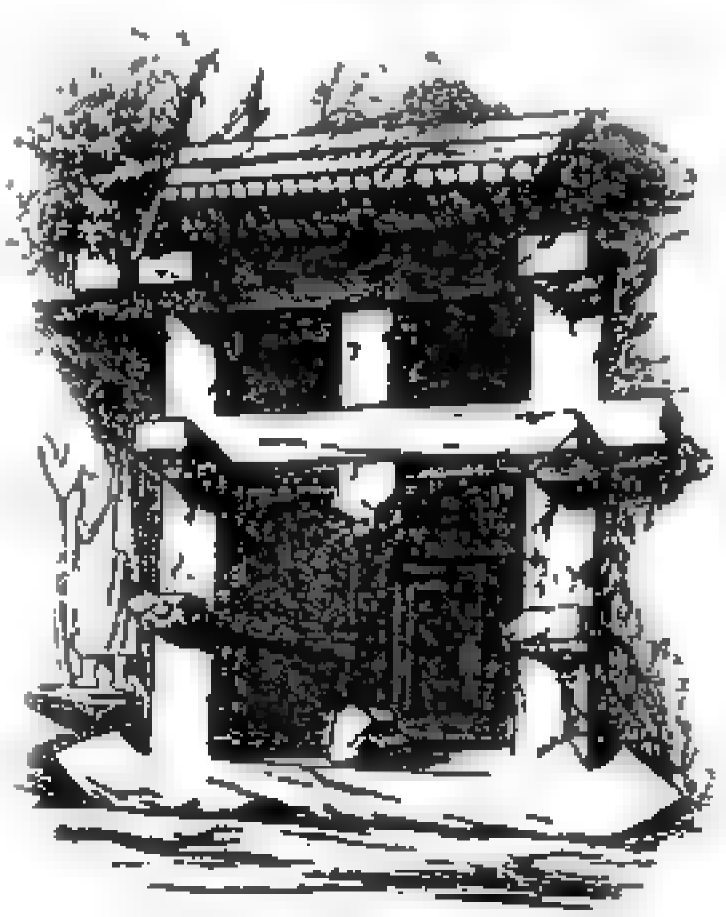
قلنا إن من أهم النماذج الفذة للعمارة الهندية مجموعة معابد إيلاورا الصخرية ، لأنها شاملة لكلا الطرازين البوذى والبراهمى ومبنية على سفح الجبل الجرانيتى ؛ فضلاً عن كونها جميلة التكوين رائعة النقوش والزخارف . وأهم هـذه المجموعة مما يمكننا تناوله بشىء من التنويه هنا معبد كايلاسا الذى نحت فى الصخر ثم فصل منه فأصبح كأنه قائم بذاته ، ويبلغ ارتفاعه ثلاثين متراً ، وصحنه مقسم إلى خمسة أجنحة فصلت عن بعضها بقوائم ، وحوائطه الخارجية مليئة بالمنحوتات التمثيلية بلغت كلها غاية الدقة ؛ وعلى المدخل يوجد فيلان كبيران على اليمين واليسار ؛ وهذا يذكرنا مع الفارق بما كنا نراه على مدخل المعابد المصرية كالمسلتين اللتين اعتاد المصريون إقامتهما عند مداخل معظم معابدهم

وأعقب ذلك اتجاه الفن البنائى الهنـدى اتجاهاً جديداً فى مرحلة أسماها مؤرخو الفن المرحلة البراهمية الحديثة ، وأهم معابدها التى ساروا فى تشييدها على نمط الطراز البوذي ، لا من النحت فى الصخر فقط ، بل أيضاً من حيث الوضع التكويني والإنشائى بالذات ، فضلاً عن تشييدهم المعابد قائمة بنفسها . أما من حيث الطراز الفنى فقد اختلف الإجراء والاتجاه فى شمال الهند عنه فى جنوبها ، وهذا مقبول بالنظر إلى بعد الشقة بين الشمال والجنوب

وكانت صفة معابد الشمال أنها أقيمت مكعبة الشكل فى مجموعها التكوينى ، قد توسطها صحن مربع أو ما يقرب من هذا الشكل ، وتعلوه قبة مربعة الجوانب السفلى الملاصقة للحوائط ومنتهية فى آخرها بالتقاء الخطوط الزاوية ، فكانت بذلك أشبه بهرم مقوس الأضلاع

وقبل الوصول إلى الصحن وبالقرب من المدخل عملت ردهة تؤدى إليه على نفس الطراز . أما المظهر الخارجى العام للمعبد فكان كثير التعاريج والأضلاع المتشعبة وواجهاته مغطاة بالتماثيل وكلها من الحجر الرملى . ويوجد كثير من طراز هذه المعابد فى مقاطعة أوريسا فى الشمال الشرقى

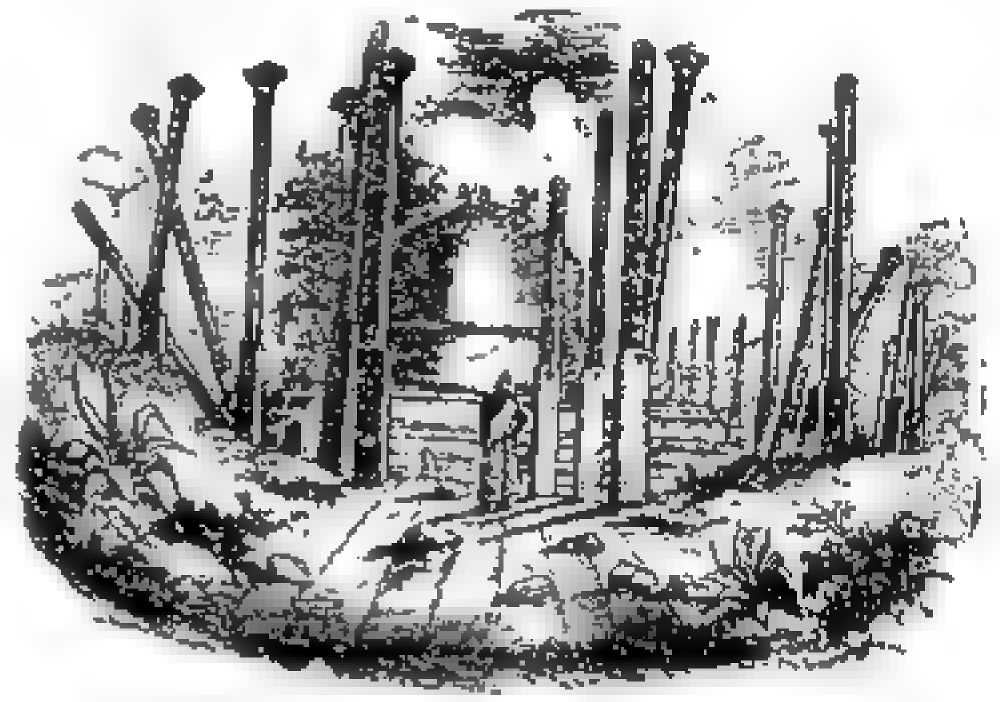
وقد توسعوا فى التصميم الكلى للمعبد بإضافة مبان ملحقة به ، لها قباب ينطبق عليها الوصف السابق ؛ وأقيمت المعابد على هذا النحو فى مقاطعة راجا أو راجبوتانا



١ — مقبرة ميرا الصخرية

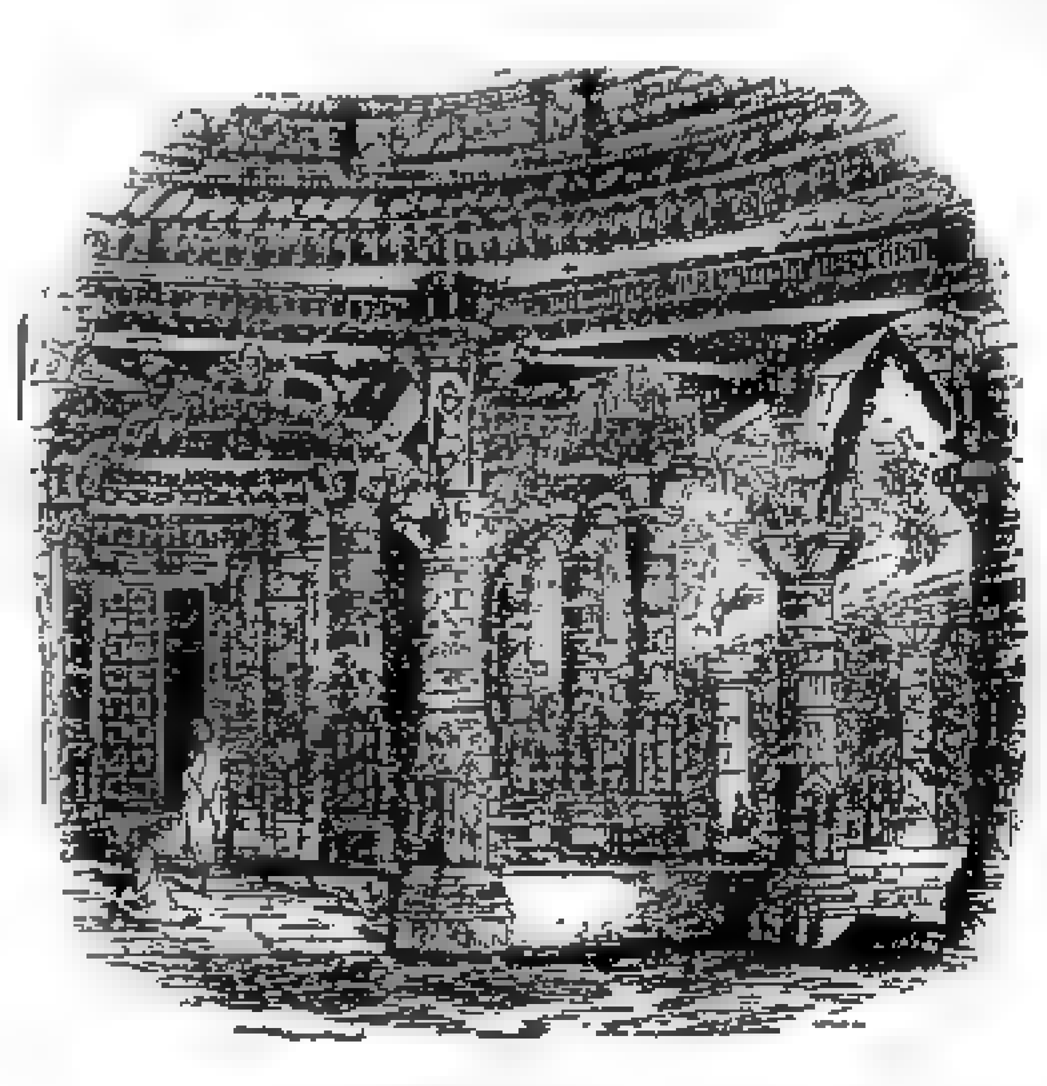
وخير الأمثلة التى يمكننى أن أسوقها مما يستحق الإعجاب

كثيراً معابد كاچوراو وتبلغ الأربعين عداً معظمها راجع إلى القرن العاشر بعد المسيح ، وهي تعتبر بحق المثل الفنية للعمارة الهندية إجمالا ، وتبلغ مساحة المعبد الواحد مساحة كتدرائية مسيحية ، ولم يتركوا أى معبد دون شحنه بالزخارف والمنحوتات على واجهاته وبداخله



٢ — داجوب توپاراما

وتعتبر مجموعة معابد دجاينا (طريقة دينية معينة) من الدرجة الأولى فى الفن الهندى . منها معبدان قائمان على قمة جبل أبو (ش ٣) يرجع تاريخهما إلى القرنين الحادى عشر والثانى عشر وهما مبنيان من الرخام الأبيض الناصع ، ويحيط بالصحن ستون حقلا حملت سقفها على أعمدة عديدة رائعة



٣ — معبد فيلاساه على جبل أبو

أما المعابد الجنوبية فأبرزها دون نزاع مجموعة أسموها الپاجودا وهي عبارة عن مجموعة مبان متجاورة أحيطت بأربعة حوائط من جهاتها الأربع ، وفى واحدة منها وجد المدخل (جوپورا) يتكون ذى طراز أعوذجى للفن الهندى أسفله بناء مربع وأعلاه سقف على هيئة هرم مدرج ناقص ، أى أن قاعدته العليا مسطحة وقد بلغت درجاته الخمس عشرة . وفى داخل البناء ردهات وصالات ذات أعمدة خصص بعضها للحجاج (تشولترى) ، ولم يختلف المكان المقدس (ڤيمينا) فى شكله الكلى عن النمط الذى ساروا عليه فى إنشاء المدخل إلا أنه مربع الأرضية

وعلى ذلك تميزت المعابد الجنوبية عن الشمالية بهرمها المدرج وصالاتها وردهاتها ذات الأعمدة ومبانيها التى عملت من الآجر .



٤ — معبد بورو بودر

ولعلنا نسجل هنا أهم ما أقيم فى المرحلة الزمنية المنحصرة بين القرن العاشر والقرن السابع عشر من روائع هذا الطراز ، فپاجودا تانجورا بمدخلها البالغ طوله ٦١ متراً وپاجودا سرينجام وطول واجهتها كيلو متر تقريباً ، وپاجودا شيللا بروم ومادورا كل هذه تجل عن الوصف ، ولا تدع مجالا للشك بأن الفن الهندى — وإن كان الدرس المفصل به عسيراً بالنظر إلى الأطراف النائية لهذه البلاد — من أهم الفنون الشرقية التى يجب علينا العناية بها وإلفات النظر إلى ما فيها من جمال وروعة

أحمد موسى



ترجمة جديدة لجان جاك روسو

كتبت حياة جان جاك روسو فيلسوف النفس والطبيعة مراراً وتكراراً ؛ وحتى لم تحرم العربية من ترجمة لروسو وتحليل لنظرياته وكتبه بقلم الدكتور هيكل بك ، ولكن الباحث فى حياة روسو يجد فيها دائماً من الجديد والطريف ما يشجع على استعراضها وتصويرها . وقد صدر أخيراً بالألمانية كتاب جديد عن حياة روسو عنوانه « الأحلام والدموع » Träume und Traenen بقلم الكاتب النمسوى هانز يوليوس ڤيلى H. J. Wille تناول فيه حياة المفكر من ناحية جديدة هى ناحية العاطفة والمشاعر ؛ وربما كانت هذه الناحية من حياة روسو هى أخصب وأدق ناحية فى شخصية ذلك الذى أراد أن يصوغ الحياة طبقاً للعاطفة والمشاعر الانسانية . والواقع أنك إذا حاولت أن تحكم على شخصية روسو من أعماله وحوادث حياته فقط ، فان مثل هذا الحكم لا يمكن أن يتفق مع خلال هذه العبقرية العظيمة ، بل يتنافى مع كل ما فيها من الاضطرام والسمو ؛ وإذا كان روسو هو ذلك الروح المضطرم الذى يرتفع بالفكرة الانسانية إلى أسمى مواطنها ، وإذا كان هو مؤسس المذهب « الرومانتيكي » وإذا كان قد نفذ بتأثيره الساحر إلى عبقريات مثل جيته وشلر ، فإن فى جوانب حياته الخاصة مايلقى حجاباً على عبقريته وسمو خلاله ، فهو ، وهو الذهن الحر ، يأبى مدى ثلاثة وعشرين عاماً أن يسبغ على شريكة حياته وأخلص النساء إليه — تيريز ليفاسير — شرف الزوجية ، ويقول لنا إنه تزوجها دون رغبة ودون إرادة ؛ وهو المؤسس لمذهب جديد من التربية ، يرغم زوجته على أن تبعث بأولادها الخمسة إلى ملجأ اللقطاء ؛ وهو رجل النفس والعاطفة يطأ بقدميه أقدس وأعمق عواطف زوجه ، وهو فى جميع أعماله وتصرفاته ينم عن أثرة عميقة لا تتفق فى شىء مع النظريات الانسانية والأخلاقية السامية التى يبشر بها فى كتبه ؛ على أن مواطن الضعف الشخصى والشهوات الشخصية لا يمكن أن تكون مقياساً للحكم على عبقرية ما من نواحيها العامة ، وقد كان روسو عبقرية لا شك فى عظمتها ، فيجب أن يحكم عليه من هذه الناحية العامة ليس غير

هذه الصور كلها يقدمها الينا يوليوس ڤيلى بقوة وإفاضة ، ويقف بنا طويلا عند حياة تيريز وشخصيتها الساذجة ، إلى جانب حياة المفكر الأثرية ، وهو يرى فى تيريز شخصية انسانية تحمل على الاحترام والعطف ، ويرى أنها كانت مثالاً للتضحية ، وهو على العموم يصور لنا روسو رجل النفس والعاطفة قبل كل شىء

على مثال نوبل

رفع ألفرد نوبل المثرى العظيم ، بهبته الطائلة التى رصدت جوائز لأقطاب التفكير والسلام فى أنحاء العالم ، اسم أمته — السويد — إلى السماكين ؛ وفى كل عام توزع جوائز نوبل العظيمة إلى مستحقيها بين آيات التقدير والاعجاب للمحسن العظيم . واليوم يتقدم مثر سويدى آخر هو المالى الكبير اكسل فنرجرن ، ويوقف من ثروته الطائلة مبلغ ثلاثين مليوناً من الكرونات على الأعمال والمباحث العلمية ، والجهود العقلية التى تفيد الانسانية كلها بوجه عام . وقد نظمت هذه الهبة العلمية على مثل هبة كارينجى المشهورة ، وسيبدأ تنفيذ مافيها فى حياة الواهب على يد مجلس مؤلف من الواهب وزوجته وخمسة آخرين من بين رجالات السويد المشهورين . وقد استطاع المحسن الجديد أن يحرز ثروته الطائلة كسلفه العظيم نوبل من بعض المخترعات الصناعية ، وهو يعنى عناية خاصة بالمشاريع العلمية والفكرية ؛ وقد اشترى أخيراً الجريدة السويدية الشهورة « نيا داجلجت الهاندا » ، ووقفها للدعوة إلى التفكير المستقل وإلى معاونة الحركة الفكرية وتشجيعها

وهكذا تنافس السويد أمريكا فى رصد الهبات العلمية ، وتحرز من هذه الناحية ظفراً بعد ظفر ؛ وسيكون لهبة فنرجرن من الأثر المعنوى العظيم ماللهبة سلفه نوبل ؛ وستكون دعامة جديدة فى صرح التقدم العلمى والانسانى

احياء النحو لإبراهيم مصطفى

جاء فى مجلة الآداب الشرقية التى تصدر بالألمانية عن هذا الكتاب بقلم طاهر خميرى ما يأتى : —

الكتاب يقتصر على معالجة إعراب الاسم فى العربية جاعلاً هدفه إبدال القواعد الكثيرة المبنية على نظرية العامل بأخرى أقل منها عدداً وتقوم على أساس من طبيعة اللغة (ص ١٩٥)

والمؤلف إذا أغضينا عن استثناء واحد (ص ٤٣) يستعين بمصادر عربية فقط

وأساس الفكرة أن الضمة علم المسند إليه والكسرة علم الاضافة بينما الفتحة لاتدل على شيء بل الحركة الخفيفة التى تهرع إليها اللغة مادام الأمر لايدور حول إسناد أو إضافة (ص ٥٠) . أما تفاصيل هذه النظرية فيناقشها المؤلف فى صورة واضحة ملزمة وإن لم تكن كل أجزائها فى نسق واحد من الاقناع

فالمؤلف مثلا — على حق كل الحق إذ يتخذ من إغفال علامة النصب فى كل من جمعي المذكر والمؤنث السالمين (ص١١١) مؤيداً لنظريته السالفة وإن كان الطريق مفتوحاً أمام احتمالات أخرى ؛ ولكن ليس كذلك حكمه بأن اسم إن كان ينبغى له حقاً أن يرفع لولا أن النحاة ضلوا فى هذه النقطة (ص ٦٤) ، هذا الحكم الذى يبنيه على مستثنيات قليلة يحوم حولها الريب وعلى نظائر لاصلة لها بما نحن فيه

كذلك كان المنتظر أن كل بحث حول علامة النصب يتخذ له من المفعول به نقطة ارتكاز ولكن مما يلفت النظر أن المؤلف أعرض عن ذلك إعراضاً تاماً

ومما يدعو إلى السرور أن باب الاجتهاد فى النحو العربى قد فتح أخيراً على يد مؤلف عكف على موضوعه سبع سنين صدق فيها الاعتكاف (أنظر المقدمة) يحدوه الأمل فى أن يشيد بناء النحو العربى من جديد ، ولهذا لايسعنا إلا أن نتجه إليه شاكرين

هذا ولما كان المؤلف يعتزم إخراج جزء آخر فى الفعل وقد أكد هذا العزم فصرح بأن عنده مبادئه وتخطيطاته كاملة ، كان لنا ألا نسد الطريق أمام كلمة أخيرة

وإنه لمن الضرورى الذى لامفر منه فى عمل من هذا القبيل ألا يغفل عن متابعة الخطوات الأخيرة فى مباحث علم اللغة العام فان هذا — مثلا — كان حرياً بلا شك أن يحفظ من زلل كثير فى استنباط نتائج قد يؤدى إليها كون تغير المعنى بمساعدة الحركات من خصائص اللغة العربية (ص ٤٥) اه

عقد مؤتمر عالمى فى القاهرة للبحث فى مسائل الشريعة الاسلامية

كانت الجامعة الأزهرية قد اشتركت فى مؤتمر تاريخ الأديان الذى عقد أخيراً فى مدينة لاهاى ، وقد رفع المندوبون الأزهريون إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر تقريراً ضافياً ضمنوه المناقشات والقرارات التى اتخذها المؤتمرون فيما يتعلق بالبحوث الاسلامية التى تقدمت إلى المؤتمر

وقد عنى فضيلة الأستاذ الأكبر بدراسة هذا التقرير ، واجتمع مراراً بحضرات المندوبين الأزهريين وكان معهم الأستاذ عبد الرازق السنهوري بك عميد كلية الحقوق ومندوب الجامعة المصرية فى هذا المؤتمر . وعلى أثر هذه الاجتماعات اتصل فضيلة الأستاذ الأكبر بالدوائر الرسمية المختصة وتحدث معها فيما كسبت من النتائج العملية فى هذا المؤتمر وما أفادته الجامعتان المصرية والأزهرية من الاشتراك فيه .

وقد علمنا أن الآراء انتهت إلى أن فى الشريعة الإسلامية من مسائل التشريع الجنائى والمدنى والتجارى ما يصح أن يؤلف قواعد ذات صبغة قانونية يمكن الأخذ بها فى مختلف التشريعات الحديثة كالوقف والوصية والميراث وشروط البيع والشراء والإيجار إلى غير ذلك من مختلف المسائل الشرعية ذات الصفة العامة

ثم رؤي أن كثيراً من التشريعات الحديثة اقتبست أحكام بعض هذه المسائل وجعلتها جزءاً من القانون العام ، وأن من الإنصاف أن نسمع آراء علماء القانون فى هذه المسائل حتى يمكن تمحيصها وتكون ملائمة لروح هذا العصر

لذلك استقرت الآراء على عقد مؤتمر عام فى مدينة القاهرة يدعى إليه مندوبو الجامعات والهيئات العلمية فى العالم لتعرض عليه هذه المسائل للبحث فيها ولتقرير صلاحيتها لتكون أساساً ومصدراً فى التشريع الحديث

وقد تقرر أن تقوم مشيخة الأزهر بالاشتراك مع الجامعة المصرية بالدعوة إلى هذا المؤتمر ، وجرت بحوث فى كيفية تأليف اللجنة التحضيرية التى تبحث هذا الموضوع وتحدد الموضوعات الإسلامية التى تعرض على المؤتمر وتعين الزمان والمكان لانعقاده . وقد انتهت هذه البحوث إلى أن تؤلف هذه اللجنة من بعض علماء الأزهر وبعض رجال القضاء الشرعى ورجال القانون وستنتظم هذه لدعوة جميع البلدان الاسلامية

تعديل التقويم الغريغوري

طلبت سكرتيرية لجنة المواصلات فى عصبة الأمم إلى الحكومة المصرية موافاتها برأيها فيما يتعلق بالتقويم الغريغورى واقتراح تعديله

وقد رأت وزارة المعارف أن تساهم فى هذا الأمر مساهمة جدية فأحيل الموضوع إلى أحد كبار موظفيها البرزين فى المسائل التاريخية لبحثه ووضع تقرير عنه

ونذكر فى هذا المقام أن فى أوربا وأمريكا هيئتين علميتين تسعيان لتعديل التقويم الجريجورى وتبذلان الجهد لدى لجنة المواصلات والمرور بالعصبة لتحقيق أغراضهما وغاياتهما . وقد رأت هذه اللجنة أن الموضوع خطير لاتصاله بحياة الشعوب والأفراد جميعاً ، فوجهت الدعوة إلى الأمم الممثلة فى العصبة وغير الممثلة ، فتألفت من مختلف الممالك والأقطار هيئات محلية ولجان أهلية لدراسة هذا الموضوع واقتراح الوسائل التى يمكن أن ينفذ بمقتضاها ؛ حتى إذا ما استجمعت اللجنة الآراء والمقترحات فى أنحاء العالم ، تقدمت إلى العصبة لدراسة الموضوع جملة فى اجتماعها

وقد لخصت لجنة المواصلات الفكرتين الأوليين اللتين تشير بهما هاتان الهيئتان العلميتان فى أوربا وأمريكا

فالاقتراح الأول يرمى إلى جعل عدد شهور السنة ١٢ شهراً ويوماً واحداً فى السنين البسيطة ويومين فى السنين الكبيسة . وأن يسمى اليوم الأول « يوم السنة » ويكون عقب شهر ديسمبر ، ثم يسمى اليوم الثانى « اليوم الكبيس » ويكون عقب شهر يونيو

ومن خصائص هذا الاقتراح أن يجعل الشهر ٣١ يوماً ليناير وابريل ويوليو واكتوبر ، و٣٠ يوماً فى الشهور الأخرى . وبذلك يكون مجموع شهور السنة الاثنى عشر هو ٣٦٤ يوماً . ومن مزاياه أيضاً أن تبدأ السنة دائماً بيوم « أحد » وأن تبدأ شهور يناير وابريل ويوليو واكتوبر بيوم « الأحد » ، وشهور فبراير ومايو وأغسطس ونوفبر دائماً بيوم « أربعاء » ، وشهور مارس ويونيو وسبتمبر وديسمبر بيوم « جمعة »

أما الاقتراح الثانى فيرمى إلى جعل السنة ١٣ شهراً وأن يكون عدد أيام الشهر ٢٨ يوماً ، على أن يضم إليها يوم واحد فى السنين البسيطة وفق الاقتراح المتقدم . أما الشهر الثالث عشر فيكون موقعه عقب شهر يونيو ويسمى « الشهر الوحيد »

ومن مزايا هذا الاقتراح أن يجعل الشهور متساوية فى عدد الأيام والأسابيع وأن يجعلها جميعاً مبتدئة بيوم واحد هو يوم « الأحد » . ويذهب أصحاب هذا الاقتراح إلى أن فوائده كثيرة متعددة من النواحى الزراعية والمالية والاقتصادية والحسابية والتعليمية وهى تتلخص فيما يلى :

١ — جعل كل شهور السنة متساوية الأيام ، ويجعل الأيام ثابتة لا تتغير ، وبهذا يمكن معرفة تاريخ أى يوم إذا عرف موضعه فى أى أسبوع من أسابيع الشهر ، وكذلك يمكن معرفة اسم اليوم إذا عرف تاريخه

٢ — توحيد الأيام ، فيسهل تنظيم الأعمال الخاصة والعامة ، كصرف الأجور ومعرفة أيام الأسواق والمواسم والأعياد والأجازات وافتتاح الدراسة وانتهاؤها . الخ

٣ — تقسيم الشهر إلى أربعة أسابيع متساوية ، فيسهل تطابق الحسابات الأسبوعية والحسابات الشهرية ، ويرتفع الخطأ الذى ينشأ عادة من اختلاف الشهر وأسابيعه

٤ — تسهيل مقارنة الايراد والمنصرف فى كل شهر فى الشئون التجارية والمالية والمنزلية

٥ — لما كانت أجزاء الأسابيع تلى وفق هذا النظام ، فإنه يسهل وضع الاحصاءات ، إذ يعطى مقياساً ثابتاً لايرادات الحكومة وصادراتها ووارداتها

هذا هو تلخيص الاقتراحين . وستبدأ الوزارة فى دراستهما ولما كان هذا الموضوع لا يعنى الحكومات وحدها ، بل يتصل بحياة الهيئات والجماعات والأفراد فإن الوزارة ترحب بكل ما يبدى من الرأى فى هذا الموضوع

الى صديقى الأستاذ على الطنطاوى

تتعب نفسك ياصديق وتتعب المنطق معك إذا حاولت أن تجادل من يفهم أن ما ينشر فى (الرسالة) بغير إمضاء يجب أن يكون لرئيس تحريرها ، ثم يبنى الاسم على هذا الفهم ، ويقيم المناقشة على هذا الأساس . ومن بداءة الصحافة كما تعلم أن ما ينشر فى الصحيفة من غير إمضاء إنما ينسب إليها لا إلى شخص بعينه ؛ ورئيس التحرير مسئول ، ولكن مسئوليته ليس معناها فى اللغة ولا فى الاصطلاح أنه يكتب ما لا يمضيه غيره . فأعف قلمك ياصديق من مثل هذا الجدل ، وأجره بما عودت قراءك المعجبين بك من مُلهَمات الحق والخير والجمال

الزيات



من أساطير الاغريق

يوم قيـــامة ...

أو طيش فيتون

للأستاذ دريني خشبة

عاد الفتى الساذج فيتون إلى أمه الحسناء الهيفاء كليمين ، بعينين مغرورقتين ، ونفس مكلومة ، وفؤاد خافق متصدع ، فجرى بينهما هذا الحديث :

— مالك يا حبيبي ! لماذا تبكي ؟

— ... ؟ ...

— لا . لا ... فيتون يبكي ؟ هذا عجيب ! أيكون أبوك أبوللو وتبكي ؟!

— أبوللو أبي ؟ كذب ، كذب !

— كذب ؟ وكيف يافيتون ! أمك كذابة ؟

— لا . لا . عفواً يا أماه ! أنت لا تكذبين ، ولكن ربما يكون كلامك سخرية بي !

— ولم أسخر بك يا بني ؟

— الأولاد في المدرسة يغمزونني في أبي ، وكلما حلفت لهم أن أبي أبوللو ضحكوا !

— دعهم يضحكوا يافيتون . ماذا يضيرك ؟

— يضيرني أنني لم يعد لي وجه أريق ماءه بينهم ، لا بد إذا كان أبوللو أبي أن ألقاه

— تلقى أبوللو ؟

— ولم لا ؟ أليس كل الأبناء يلقون آباءهم ؟ فلم لا ألقى أبي ؟ أأنا بدع من الناس ؟

— لست بدعا ، ولكن أبوللو في بلاد بعيدة ... إنه في الهند !

— ولم لا أذهب إلى الهند لأرى أبي ؟ صف لي الطريق بحق الآلهة عليك يا أماه

— إذهب إلى الأرض التي تشرق من أفقها ذُكاء ، فهناك ترى أباك

وذهب إلى الهند التي تقع في مشرق الشمس مباشرة ؛ وكان عند شاطئ المحيط قصر باذخ منيف ، لا يبلغ البصر مداه ، ولا يدرك الطرف أوله ولا آخره ... وكان مع ذاك قائماً على عماد رفيعة من ذهب ركبت فيها ماسات كبيرة ذات سناء وذات لألاء . وكان سقفه العظيم المطعم بالعاج المصقول يلمع ، ويكاد سناه يذهب بالأبصار ؛ أما أبوابه فصيغت من الفضة الخالصة ونقشت فيها أبهى الرسوم ؛ وافتنّ فلكان فصور فوق الجدران بالرسم البارز الأرض والبحر والسماء بما فيها من قُطّان ؛ فأقام في الأرض غابها وأدغالها ومدنها وأنهارها وجبالها ووديانها ... حتى آلهتها . وأبرز في البحر عرائسه المائسات الفاتنات ، فجعل منهن سابحات يتواثبن فوق الموج ، وجالسات على النؤي يمشطن شعورهن الداكنة التي تحكي خضرة البحر ، وراكبات على ظهور السمك وحيوان الماء يتلاعبن ويتضاحكن ... وجعلهن ذوات صور متشابهات وغير متشابهات ، دليلاً على حذقه وجليل قدرته ؛ وجعل فوق هذا كله صورة السماء بكل بروجها الاثني عشر ، بحيث جعل منها ستة إلى اليمين ، ومثلها إلى اليسار ... خَلْقَ فلكان ، ومن أحسن من فلكان خلقا (1) ؟!

وهكذا كان قصر الشمس آية من آيات الفن عجبا ، ومع هذه الأبهة البالغة والعظمة الأخاذة ، فقد تقدم فيتون غير هياب ، ودخل في غير وجل ، وكان يلمح اللمحة من الرسوم الجميلة والتصاوير الساحرة ، ثم يسلك في سبيله قدما حتى كان في البهو الأعظم الذي يستوي في صدره أبوه ، على عرش ممرد ناصع ، تنعكس منه أضواء لامعة خاطفة ، تبهر النظر ، وتُخَشّي الأبصار . وسار الفتى مسافة قليلة ، ثم وقف مكانه عَشِيًّا من شدة الخطف

(1) ليذكر القارئ أن القصة أسطورة

والإيماض ، ولم يدر أيان يذهب ؛ وكان أبوه متشحاً بوشاح فضفاض أرجواني ، وعن يمينه وعن يساره وقفت الأيام والشهور والسنون ، ثم الساعات في صفوف منظومة متلاحقة ؛ ثم وقف الربيع — وتمثله هنا امرأة — وفوق رأسه إكليل جميل من النار والزهر ؛ ومن بعده وقف الصيف ، وقد نضا جيب قميصه عن صدره ، وقبض على حزمة من سنابل القمح الناضجة بيمينه ؛ ثم همّ الخريف متهالكاً على نفسه ، وعلى قدميه آثارات من عصير العنب ... أما الشتاء ، فقد بدأ شيخاً وقوراً جلل الشيب رأسه ، وتراكم الثلج والبرد على شعره الناصع

وقد لمح أبولو ولده فيتون حيث سمر مكانه ، وقد خطفت الأضواء بصره ، وأخذه المنظر العجب الذي سحره عن نفسه ، فهتف به ويباركه ويقول :

— فيتون ! فيم قدمت يا بني ! لأمر ذي بال ، ليس من ذاك بد ؟

— أوه ! يا نور السموات والأرض يا فوبوس [1] ! يا أبي إن أذنت لي أن أناديك بهذا النداء ! إن كنت حقاً ابنك فزودني ببرهان أقدمه للناس حين أقول إني أنا ابن أبولو

— برهان ؟

— أجل ، هب لي من لدنك برهاناً يثبت أبوتك لي ، فلقد استهزأ بي التلاميذ ، وفضحوني في بنوتي لك . لا بد من دليل ، هل تسمع ؟ لا بد من دليل !

— لا عليك يا بني ! لك ما أردت . على أنه كان ينبغي أن تصدق كل ما قالت لك أمك ؛ وأنا من جهتي لست أنكرك ، فأنت ابني وأنا والدك ، والآن سل ما شئت فإني مانحك أيّاً ما تريد

— صحيح يا أبي ؟

— أولا تصدق ما أقول ؟

— بلى ، ولكن ليطمئن قلبي !

— صحيح يا بني ، وأقسم لك بهذه البحيرة المقدسة التي يحلف بها الآلهة

فيتلفت فيتون حوله ليرى البحيرة ، ولكنه لا يجد لها أثراً

— وأين هي تلك البحيرة يا أبتاه !

— ولد ظريف يا فيتون ! أنا ما رأيتها قط ، ولكنا نحلف بها في كل أمر جلل يا بُني !

— إذن هب لي أن أسوق عجلة الشمس يوماً واحداً بدلاً منك

(١) أحد أسماء أبولو

— ويْ ! فيتون ! أي طلب هذا ؟

— لا بد !

— محال يا ولدي ! أنت حدث ، ثم أنت بشري من بني الموتى ! سل ملء الأرض ذهباً أمنحك ما تريد !

— كلا ، كلا ... لا بد أن أسوق عجلة الشمس من المشرق إلى المغرب ليراني سفهاء التلاميذ ، وليتأكدوا أني ابن أبولو !!

— إنها ستحرقك وتحرق التلاميذ إخوانك قبل أن يروك !

— لا ... لن تحرقني ، أنت قادر على أن تجعلني أحتمل كل شيء ! ألستَ إلهاً !

— بلى ، ولكن ...

— لكن ماذا ؟ لا بد ، لا بد ، محال أن أسألك شيئاً آخر !

— يا بني إن هذا ليس في طوقك ، إنك ضعيف صغير ، والعمل الذي تطلب أن تتولاه شاق حتى على الآلهة ، إني أقوم به والرعب يملأ قلبي ، وأنا من أنا يا فيتون ... إن سيد الأولمب نفسه ، الإله الأكبر ، جوف ، جل سناؤه ، وتقدست أسماؤه ، لا يستطيع أن يسوق عربتي الملتهبة ذات اللظى يوماً أو بعض يوم ، فما بالك أنت ؟ إن الثلث الأول من الطريق صعب المرتقى لأنه يميل قليلا قليلا عن خط العمود ؛ وخيلي ترقى مزالفه [1] في صعوبة ليس بعدها صعوبة ؛ والثلث الثاني عال شديد العلو ، لأنه يرتفع فوق قمة العالم ، حتى لأجزع أنا نفسي من أن أنظر إلى أسفل تقية للدوار يأخذ في رأسي [2] حين أرى إلى البحر المتمرد والبطاح الشاسعة والجبال الشم تزدلف من تحتي ؛ أما الثلث الأخير فمنحدر شاق كمهاوي الجبل إذا وقفت عليه فوق شعفته [3] ، ولذا فهو يقتضي الحذر وحصر البصر ؛ حتى إن تاثيز الواقف في نهايته ليتلقاني ، يرتعد من الخوف عليّ ، والرثاء لي ، خشية أن أتردى في هاوية اللانهاية . هذا ، ولا تنس السماء التي تجري فوقي لمستقر لها ، بكل ما فيها من كواكب وأجرام ، فإذا غفلت لحظة ، أو أخطأت قيادة العربة ، جرفتني في دورتها إلى حيث لا أعلم أين تذهب أو تستقر بي . ثم تدبر معي قليلا يا فيتون ، إذا أنا سمحت لك بقيادة العربة ، فماذا يصيبك من الهلع حين تنظر إلى السُّفل فترى الأرض تلف ، والسباع تهمهم في الأدغال ، والناس يكظون المدن ، والآلهة تطل من قصور الأثير ، والأشباح تسري حواليك كالسمادير ؟ ماذا من

(١) المزالف : المراقي (٢) هذه عبارة القاموس (٣) قمته

الروع يعتريك يا ولدى ؟ هل تستطيع أن تكبح جماح الخيل أو حتى تملك ألاّ يفلت العنان منك ؟ إنك ستمر بين قرنى الثور أمام الحوت ، وعلى مقربة من فكي العقرب وذراعى السرطان .. يا بنى ! هل تستطيع أن تقود الخيل التى تنفث اللهب من مناخرها وأفواهها وسط هذه الدُّنى الدائبة ؟ اختر لنفسك يا بنى ولا تجعل الناس يقولون أهلكه أبوه »

وتشبث فيتون وركب رأسه ، ولم يشأ أن ينكل قيد شعرة ؛ فلم يسع أبوللو إلا أن ينطلق به حيث عربة الشمس ! العربة العظيمة المطهمة ، المصنوعة كلها من الذهب الخالص ، وقليل من الفضة المزركشة باللآلىء والجوهر ، وأحجار الماس التى تعكس أشعة الشمس جميعاً فتضاعف أضواءها ، وتزيد كثيراً فى لألائها

وتقدمت ربة الفجر ففتحت أبواب المشرق ، ونضرت بالورد طريق أبوللو ؛ ثم أخذت النجوم تثب كالحائم قِبَل المغرب وفى أثرها نجمة الصبح فريدة كأنها الورقاء

وتلفّت أبوللو إلى الساعات المنتشرة عن جانبيه ، فأمرهن أن يسرجن الخيل ، فأطعن ، وقصدن إلى الإسطبل الكبير حيث وجدن الخيل قد التهمت كفايتها من العلف المقدس ، فوضعن فى أفواهها اللجم ، وأسرجنها بكامل عدتها

وتناول أبوللو وجه ولده فنضحه بطيوب إلهية ، وضمخه بدهن كريم ، ثم قطر فى عينيه قطرات من ماء أولمب ، كي يقوى الفتى على تحمل الحرارة الفائقة ، والصبر لضوء الشمس القوى ؛ ثم وضع على رأسه الصغير هالة النور الربانية ، وأشار إليه فاستوى على العربة العظمى التى تجر الشمس ، فتنير أقطار السموات والأرض ، وقال يوصيه :

— « أى بنى ! ها قد استويت على عربة أبيك التى ما قادها من قبل أحد غيره ، ولا يقدر عليها أحد سواه ! أى بنى فاشدد إليك أعنة الخيل ، وتجنب أن تلهبها بهذا السوط ، فهي قد مرنت على الطريق وهي لا تبطىء حتى تحتاج إلى أن تساط . أى بنى ولا تنحرف عن شمالك أبداً ، وظل منتهجاً سبيل الاستواء الذى هو الدائرة الوسطى من الدوائر الخمس ؛ واحذر أن تعلو إلى الدائرة العليا أو أن تسفل إلى الدائرة السفلى ؛ وسترى آثار رحلاتى من قبل ، فسر على دربها تصل إن شاء الله . أي بنى ولا ترتق معارج السموات فتصيب مساكن الآلهة ، ولا تهو قريباً من الأرض فتجعل كل ما فيها هشيماً جُرُزاً ، بل خذ الطريق الوسطى أبداً ، فإن خير الأمور أوساطها ... فإذا أفلتت الأزمة من يديك ، فظل حيث أنت ، ولا تذهب مذاهب شتى فى رُحب السماء . وسأتولى أنا بعد ذلك إنارة الأرض والسموات . أى بنى وما دمت قد اخترت لنفسك برغمي ، فلا أقل من أن تعي نصيحتي والسلام عليك »

وود فيتون على أبيه السلام ... وانطلق من أبواب المشرق وطفقت الخيل الصافنات تنفث اللظى فتموه السحب بالذهب ، وتسابق أنفاس النسيم التى تهب هي الأخرى رخاء من أبواب المشرق

وعجبت الخيل بعد شوط قصير من هذا الحمل الخفيف الذى لا عهد لها به ؛ وعجبت أكثر حين أحست بالعربة تتأرجح خلفها كالزورق الذى له ليس له صُبَرة[1] تثبت به فى مهب الأعاصير

وجمحت الخيل ... وانطلقت فى غير طريقها المعهود ... ولأول مرة ارتفعت حتى كادت تلتمس الدبين الأكبر والأصغر ، فثار ثائرهما من لفح الحر ؛ ولأول مرة كذلك تحرك الثعبان المتحوى فوق نجم الشمال حين أحس الدفء فنفث سمه الذعاف ، وفر من طريقه الكواكب ... ونظر فيتون تحته ، فرأى الأرض تلف كالخذروف فريع قلبه ، وزلزلت نفسه ، وسقطت من يديه أعنة الخيل فجرت به فى السفل حتى اقتربت من الأرض ... ونظر وراءه .. فرأى أنه لم يقطع من الثلث الأول إلا أقله ؛ ثم نظر أمامه فوجد أكثر الطريق وأوعره ، فزادت حيرته ، وأسقط فى يديه ، وترك كل شيء للقضاء والقدر ... وضاعف ربكته نسيانه أسماء الجياد ... وحدث أن ارتفعت هذه فجأة ، حتى كانت قاب قوسين من فكي العقرب ، ذلك الهولة المخيف الذى أوشك يبتلع العربة بمن فيها .. وشدهت ديانا ربة القمر حين رأت عربة أخيها تتخبط فى الآفاق ، وتصطدم بالكواكب ، فتحدث الشهب ، وتحرق العوالم السماوية : « ترى ماذا أصاب أبوللو ؟ مسكين ! لابد أنه نائم . على كل حال سيستيقظ ! » ولكن العربة هبطت فجأة حتى صارت فى سماء الأرض ، وحتى صارت الأرض منها على مدى رمية سهم ... فما هي إلا لحظات حتى شبت الحرائق فى كل الأرجاء ... ها هي ذى الغابات العظيمة تشتعل ... وها هي ذى ألسن النيران ترقص فى كل فج ... وها هي ذى الوحوش تجري هنا وهناك ثم تسقط فى كل البقاع ... والمدن ! المدن العامرة الآهلة ... إنها تحترق بمن فيها من شيوخ ضعفاء ونساء وولدان ... أما الشباب ! فوا أسفاه على

(١) الصبرة والصابورة : الحجر الذى يضعه الملاح فى قعر زورقه حتى لا يميل فيغرق ، ويسميه العوام (الصابورة)

الشباب ! إنهم يجرون كالجان إلى البحار والمحيطات والأنهار والينابيع ! وها هم أولاء يقذفون بنفوسهم فيهـا ... ولـكن ! واأسفاه ! إن مياه البحار والمحيطات والأنهار والينابيع تغلي وتفور ، ويصب عبابها بالحمم ، فالشباب يستجيرون فيها من الرمضاء بالنار ! لقد بادت أمم بتمامهـا ، واختبأت أمم في النيران والـكهوف وشقوق الأرض والجبال ... أما الطيور فقد خربت أوكارها ووكناتها ، ولم يسلم منهـا إلا ما لاذ بأفحوص أو أدحى [١] ... ومسكينات عرائس البحار ! لقد شحبت ألوانهن ، وذوى جمالهن وغُصْنَ في الأعماق مع السمك يلتمسْنَ الماء البارد ، ولجأت أسراب منهن إلى البحار الجنوبية ، وآثرن أن يباشرن البنجوين ! ... أما قمم الجبال العالية التي ظلت منذ الأزل مجللة بركام الثلج ، فقد خلت حللها الناصعة ، وحلت عمائمها المخملية ، وصارت تلتهب ... فهذه طوروس الشماء ، وتلك القوقاز العاتية ، وهاتيك الألب المزهوة ... كلها تلتهب ... كلها تقذف بالحمم ... حتى أولب مثوي الآلهة ، لقد غدا كومة عالية جداً من النار .

ولقد كانت الصحراء اللوبية فراديس يانعة ولـكن فيتون المجنون حولها إلى رمال وكثبان ، ولولا أن أدخل النيل رأسه في كثيب مهيل منها لجف ماؤه ، وتبخر في السماء كله ، ليجري في كوكب آخر ! وهكذا فعل الفرات وأخوه ، وكذلك صنع الـكنج والسند ... فشكراً لـكل الأنهار التي ضنت بنفسها من أجل سعادة البقية الباقية من النوع البشري !

يا لَهُ يوم قيامة ؟! لقد ضجت الآلهة في الأرض ، وكما حاول نبتيون الجبار إله البحار أن يخرج رأسه من اليم ليجأر بالشكوى إلى أخيه كبير الآلهة ، خاف وذعر أن تحرقه الشمس الهوجاء التي يسوق عربتها فيتون ... ولولا أن جازفت أمنا الأرض فبرزت من المحيطات وهتفت بجوف العظيم ، لأصاب من بقي العذاب الأليم ... لقد قالت له : « ياجوف العلي ؟ يارب الأرباب ! إصغ إلى ، واستجب لدعائي ! ماهذا الذي نامت عيناك عنه فذهب بزرعي وضرعي ؟ أهذا جزاء خصوبتي وما تهب عبادك من حَبّ وأبّ وعنبٍ وقضبٍ وحدائق غُلب ؟ ! أهكذا تكون عاقبة إخـلاصي في مكافأة عبادك الذين يقيمون لك الهيا كل ويبنون باسمك الصوامع والمعابد ؟ ماذا من القرابين يارب الأرباب يُذبح باسمك بعد أن يهلك كل ماعلىّ من قطعان وأسراب ورِعَال ؟ ثم هذه العوالم التي ما أنشأتها إلا بعد عناء وجهد ! كيف تدع هذه الشمس الرعناء تأتي عليها جميعاً ، وتصير كل شيء في مُلـكك إلى هيولي ؟ استيقظ ياجوف واستمع ، وأدركنا بلطفك هذه الساعة التي نحن فيها أشد ماتكون في حاجة إليك . آمين ! »

* * *

وهب جوف من سباته العميق على جؤار ربة الأرض ؛ وأبصر فرأى ماحل بالعالم الجميل من تدمير ووبال ... فألم وتصدع ... ونظر إلى عربة الشمس ينتفض فوقها غلام يافع عرف فيما بعد أنه فيتون بن أبوللو فهاج وماج ، وأخذ صاعقة من أكبر صواعقه وأقتلها ، ثم أحكم تسديدها إلى الراكب المجنون .. وأرسلها تقصف وتعزف ... وتهز الأفلاك ... فأصماه وأرداه !!

وسقط الغلام الأحيمق من عُلُوِ العـالم يتقلب في نهر إريدانوس المتدفق في سهول إيطاليـا ... حيث مات ... واستراحت الدنيا كلها منه ! وعادت الشمس إلى ربها ... أبوللو المسكين ... فهو يجري بها إلى اليوم لمستقر لها !!

أما كليمين البائسة ، فهي إلى اليوم تبكي ولدها ... وقد بكته معها أخواتها ، وكن في كل صباح يذهبن إلى النهر الذي سقط فيه فيسكبن دموعهن ، حتى رثت لهن الآلهة ، فسحرتهن إلى أيكات ثلاث من شجر الحور ، فهن حانيات على النهر منذ ذلك اليوم حنو المرضعات على الفطيم

وكلما سكبن دموعهن حارت إلى كهرمان كريم

وحزن سيكنوس ، صديق فيتون ، على خدن صباه ، فجمع رفاته وبنى لها قبراً من الرخام تظله الشجرات

دريني خشبة

استدراك

جاء في مقال « كليلة ودمنة » المنشور بالعدد المـاضي من « الرسالة » صفحة ١٦١٧ « فلا يسعنا إلا أن نذكر بمزيد الإعجاب فضل إبراهيم الصولي » والصواب « أبي بكر الصولي »

---

(١) الأفحوص عش في الأرض ، والأدحى بيت النعام